

المجتمع في منظور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام - الخطبة الفدكية

انموذجا

The Society from the Lady Fatima al Zahra (as) Perspective – Fadak Sermon as a Sample

م. رزاق مهدي حمادي السعدي^(١)

Lect. Razaq M. Hammadi Al-Sa'di

الخلاصة

اسس النبي محمد - ﷺ - مجتمعا اسلاميا متكاملا، قائما على اساس التقوى والعمل الصالح، مستمدا من القران الكريم لبنائه، فكان المسلمون في المجتمع الاسلامي جسدا واحدا، كما قال النبي (المسلمون كالرجل الواحد إذا اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده)، فقد اهتم الاسلام بالفرد وعلاقة بربه، وبأفراد عائلته، ثم نظم علاقته بالناس جميعا، وبذل جهودا جبارة لإصلاح الفرد، وقسم المسؤوليات في المجتمع كلا حسب مكانه، فالأب راع وهو مسؤول عن رعيته، وكذا الابن والزوجة والعامل، وصولا الى الامام، ولقد شخّص بضعة النبي محمد - ﷺ - مقومات بناء المجتمع، وخرجت - ﷺ - في اصعب واحلك وقت مرت به امة اييها، عندما انعطف المجتمع بعيدا عما رُسم له، واوشك ان يعود الى الجاهلية الاولى حيث كانوا اذلة متناحرين، فكانت اقوالها وخطبها الدواء لداء الامة، فقد وضعت النقاط على الحروف، انطلقا من مسؤولياتها تجاه الامة، فهي ابنة نذير الامة، هذه الامة التي اثرت الراحة والدعة،

١ - مديرية تربية كربلاء المقدسة.

فما ان غاب النبي عنها وارتحل لملاقاة ربه، حتى كانت الانقلابة الكبرى التي وسمت جبين الامة، ومنها بدأت الفتنة في امة النبي، والتي ستبقى اثارها الى ما شاء الله.

الكلمات المفتاحية: المجتمع، فاطمة الزهراء، -عليها السلام-، الخطبة الفدكية.

Abstract

The foundations of the Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family) Islamic society integrated, based on the basis of piety and good deeds, derived from the Koran to his daughters, Muslims in the Muslim community was one flesh, as the Prophet said (the Muslims are like men if one complained of its members falter, the rest of his body) Islam has been concerned with the individual and the relationship with his God, and members of the family, then his relationship with people all systems, and make a major effort not Salah individual, department responsibilities in the community both as place, father official who is responsible for his flock, as well as the son and wife and the worker, all the way forward, and I have diagnosed a few Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family) the elements of community building, and went out for peace in the most difficult and darkest time passed by the nation of her father, when the community turn away from what his fee, was the words and speeches medication for diabetes nation, the points put on the characters, from their responsibilities towards the nation, it is the daughter of prognostic of this nation, this nation that influenced comfort and convenience, what that missed the Prophet her and traveled to meet his Lord, was the major Alanqlabh that characterized the brow of the nation, including the rift began in the nation of the Prophet, which will remain raised until, God willing

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وبعد..

انماز المجتمع الاسلامي بان له منهلين ينهل منهما اولهما، القران الكريم وثانيهما سنة النبي -ﷺ-
واله، فقد ارتقى الاسلام بالمجتمع الجاهلي، وخلصه من العادات الذميمة، التي كانت سائدة آنذاك، كالشرك بالله وعبادة الاوثان والحروب الطاحنة، والسبي والقتل والتشتت والتشرذم وانتشار الفواحش؛ لذلك لم يكن ذلك المجتمع يحظى باي قيمة لدى باقي الشعوب والامم، وما ان بزغ فجر الاسلام في ربوع الجزيرة العربية، حتى كُسرت الاصنام، وُجِع الشتات، وحلت رابطة الدين محل رابطة الدم، واصبح المؤمنون اخوة ﴿وَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات: ١٠، وتجمع الناس حول الدين الجديد، وبدأت عجلة التقدم والرفي، فلا فرق بين اعجمي وعربي، ولا فقير وغني، كلهم صُفّت صفوفهم في صلاة واحد خلف نبي الرحمة، ورجح العقل، وسمت الاخلاق، وتوجه الناس للخالق سبحانه،

فوصفهم القرآن بأجل وصف ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ الفتح: ٢٩، وغيرها من الآيات التي امتدحت ذلك المجتمع، وما حير عقول الباحثين اضمحلال ذلك المجتمع وانهاياره، بعد ان كانوا ﴿ كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠، وتبسيط الضوء على هذه المسألة تناولت في هذا البحث ثورة السيدة الزهراء -عليها السلام- (المتجسدة في خطبتها الفدكية التي ألقاها في مسجد المدينة المنورة وخطبتها في نساء المهاجرين والانصار) للعودة بأمة النبي الى المسار الذي اراده بعد وفاته، حيث تخلى الجميع عن عهدهم الذي عاهدوا الله عليه، فقسمت البحث على مبحثين، الاول المجتمع الجاهلي: حيث اشارت الزهراء -عليها السلام- في خطبتها، الى حال العرب قبل الاسلام من الذلة والتمزق، وبعد الاسلام الى تحاذل الناس وسعيهم للمصالح والدنيا، وتركهم اطاعة امر الله ورسوله، وتداعيات ذلك، وما سيجره ذلك على مستقبل الامة من شيوع الفتنة، وانهايار المجتمع، والعودة الى الجاهلية بغطاء جديد، حيث أكدت الزهراء -عليها السلام- في خطبتها ان تلك الفتنة ستشتت الجمع وتفرق الكلمة ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ الروم: ٣٢، وما مظاهر التناحر والقتل باسم الدين اليوم الا نتاج ذلك الانحراف والابتعاد عن القيادة الالهية المعصومة، واما المبحث الثاني: المجتمع الاسلامي، فيدور حول وصف الزهراء -عليها السلام- للحالة الايجابية التي بزغت في مجتمع المدينة المنورة، والتي سرعان ما خمدت بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، ثم تناول المبحث الثاني المقومات والمرتكزات التي بُني عليها المجتمع الاسلامي، والتي تنظم علاقة الافراد برهم، والافراد بعضهم ببعض، وقد اعتمدت في شرح خطبتها على مجموعة من المصادر القديمة والحديثة، التي تناولت الجوانب الاجتماعية؛ لبيان مراد الزهراء -عليها السلام- العالمة غير المعلمة، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: المجتمع الجاهلي

المطلب الأول: المجتمع لغة واصطلاحاً

المِجْتَمَع مفرد: اسم مفعول من اجتمع/ اجتمع به، اسم مكان من اجتمع/ اجتمع به: مجلس "أقبل عليهم في مجتمعهم، والمجتمع: هو جماعة من الناس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليده وقوانين واحدة"^(٢)، ولا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، حيث يمكن تعريف المجتمع في الاصطلاح بأنه: تجمع كتل سكانية في موقع معين، يتفق أفرادها على عادات وثقافات معينة.

٢- ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر: (١/ ٣٩٦).

الانسان مدني بالطبع، لا يستغني عن أبناء جنسه، ولا يستطيع اعتزالهم والتخلف عن مساهمة ركبهم، فإنه متى انفرد عنهم احسَّ بالوحشة والغربة، واستشعر الوهن والخذلان، ازاء طوارئ الأقدار وملزمات الحياة، وعجز عن تحقيق ما يصبو إليه من آماني وآمال، لا يتسنى له تحقيقها الا بالتضامن والتآزر الاجتماعيين، وهذا الترابط الاجتماعي، أو المجتمع المترابط، لا بد له من دستور ينظم حياته، ويوثق أواصره، ويحقق العدل الاجتماعي في ظلاله، بما يرسمه من حقوق وواجبات، فردية واجتماعية، تضمن صالح المجتمع، وتصور حقوقه وحرماته المقدسة، وبذلك يغدو المجتمع زاهراً، سعيداً بالوئام والسلام، والخير والجمال، وبإغفال ذلك يغدو المجتمع بائساً شقيماً، تسوده الفوضى، ويشيع فيه التسبب، وتنخر في كيانه عوامل التخلف والانحيار، وقد حوت الشريعة الاسلامية - فيما حوته من ضروب المعجزات الاصلاحية - انها جاءت بدستور أخلاقي هادف بناء، ينظم حياة الفرد وحياة المجتمع أفضل وأكمل تنظيم، بما يرسم له من حقوق وآداب اجتماعية في مختلف الحقول والمجالات، ما يحقق للمسلمين مفاهيم السلام والرخاء، ويكفل لإسعادهم أدبياً ومادياً،^(٣) ولحرص السيدة الزهراء -عليها السلام- على المجتمع الاسلامي من الضياع قامت بتحذير الناس من العودة الى الجاهلية، حيث ذكروهم -عليهم السلام- بما كانوا عليه من تمزق واختيار اخلاقي واجتماعي.

المطلب الثاني: حال المجتمع العربي قبل الاسلام

ارسل الله سبحانه نبيه محمد صلى الله عليه واله ليخرج الناس من الجاهلية وارجاسها الى النور والهداية، وقد بذل النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- واصحابه جهوداً جبارة دامت سنين طوال بذلت فيها الاموال والانفس، ولتجنب هذا المجتمع الرجوع ثانية الى الجاهلية الاولى ذكرت السيدة الزهراء -عليها السلام- الناس بأحوالهم وعقائدهم في الجاهلية الاولى، من اختلاف في المعتقدات، واحتقار المرأة والتبعية لأقوام آخرين، والتناحر وسفك الدم وغيرها من المظاهر السائدة فيهم، وقد بدأت الزهراء -عليها السلام- بتذكيرهم بما كان سائداً فيهم من عقائد فحالت في خطبتها الفدكية^(٤): (فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها) ثم تذكر بالمعاناة الجسيمة التي مرت بالرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- وكيف أنه قام منفرداً بإبلاغ رسالة ربه العظيمة، دون أن يجد الانحراف سبيلاً إلى نفسه، مرغ أنوف المتعنتين بالتراب، و حطم أدمغة المتكبرين، وكان سلاحه المنطق والدليل والموعظة والحكمة لمن طلب الحق واستقصى عنه، إلى أن كسر شوكة المشركين، و دمر معابد الأصنام، و تفرَّق أعداء الله، فأزيلت الظلمات و شَعَّ النور، و فرت الخفافيش، و تمكن جمع من الناس أن يرددوا نغمة التوحيد «لا إله إلا الله» علناً في ديار الكفر^(٥)، وقالت (فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن

٣- ينظر: اخلاق ال البيت: محمد مهدي الصدر: (ص ٢٩٧)

٤- ينظر: علل الشرائع: محمد بن علي الصدوق (٣٤٠/١) و بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٢١٦/٢٩).

٥- الزهراء -عليها السلام- سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ٧٦)

الأبصار غمّمها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمياء، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم.. قولها - عليها السلام - (منكرة لله مع عرفاتها) لكون معرفته تعالى فطرية، أو لقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده سبحانه، والضمير (في ظلمها) راجع إلى الأمم، والضميران التاليان له يمكن ارجاعهما إليها وإلى القلوب والابصار، والظلم - بضم الظاء وفتح اللام - جمع ظلمة استعيرت هنا للجهالة، والبهم جمع بهمة - بالضم - وهي مشكلات الأمور، وجلوت الامر.. أوضحته وكشفتها، والغمم جمع غمة يقال أمر غمة أي مبهم ملتبس^(٦) فالزهراء - صلى الله عليه وآله وسلم - تفهرس لنا حياة البشرية برمتها قبل أن يصدع أبوها القائد برسائله السماوية المباركة، فهناك الذين فرقوا دينهم شيعاً وأخضعوه لمتطلبات شهواتهم ورغباتهم كاليهود والنصارى، وهناك العاكفون على الأوثان الخاضعون للأصنام التي صنعوها بأيديهم واتخذوها آلهة من دون الله سبحانه، معتقدين بقدرتها على الخلق والإبداع والرزق والتوفيق والتصر، وهذا ما كانت عليه الجزيرة العربية حيث دان العرب لهذا النوع من التدين، فملاؤا بيت الله الحرام ببركाम من الأحجار والصُّخور، دعوا آلهة تقرّهم - بزعمهم - إلى الله زلفى، وإلى جانب هذا المنهج الماديّ الطائش نشأت عبادة النيران والإنصباغ لها والسير وفقاً لمنهج خرافي هابط يعزز مفهوم هذه العبادة الخرقاء، وقد رزحت بلاد فارس تحت هذا النوع من التدين الأجوف على يد الدين المجوسي، وإلى جانب هذه الأنواع من الأديان الوضيعة نشأ خليط من الأديان، سارت عليه الدولة البيزنطية التي تمثل المعسكر الغربي للعالم - يومذاك - حيث خلطت مفاهيم الكنيسة المسيحية مع المفاهيم الوثنية المادية مما كون خليطاً جاهلياً جديداً في عالم الأديان الترابية^(٧).

ثم وصفت فاطمة الزهراء - عليها السلام - المجتمع الجاهلي بأدق التفاصيل وقامت - عليها السلام - بتذكيرهم بذلك اليوم الذي كانوا فيه مجموعة مؤمنة صغيرة تتصارع في وسط طوفان صعب وموحش، فمن ناحية تداعب وسوسات مراحل الشرك و عبادة الأصنام مخيلاتكم أحياناً، و تجرّمكم إلى شفا جرف نار جهنم، و من ناحية أخرى فإن أعاداءكم الأقوياء الظالمين قد أحاطوكم من كلّ جانب، يتربصون بكم الدوائر ليسحقوكم بأيديهم و أرجلهم بطرفة عين، و كنتم تحت حصار رهيب، ليس لكم إلا الماء الآسن و الغذاء الرديء، تخافون مصيركم المجهول، لكن، شاء الله أن يكسر أسنان هؤلاء الذئاب المصاصين للدماء، و يضرب رؤوس هذه الأفاعي بالحجر، ويسلط هذه الفئة القليلة المستضعفة عليها، و هو على ما يشاء قدير فعال لما يريد،^(٨) ثم وصفت عليها السلام ذلك الاجتماع بأجمل العبارات (وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونخرة الطامع، وقبسة العجلان، وموطىء الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن

٦- ينظر: بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٢٩\٢٥٦)

٧- الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان: (ص٤١)

٨- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص٧)

يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بيهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب [كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله]، أو نجم قرن للشيطان) على شفا حفرة من النار: أي جرفها: إما نار الآخرة، لأنه لم يكن بينهم وبين خلودها إلا مفارقة الروح الأبدان، أو ما كان يصيبهم في الدنيا من الفتن والقتل الذائع، والأسر الشائع، ونهب الأموال والأطفال (مذقة الشارب)، أرادت صلوات الله عليها: انكم كنتم في سهولة المأخذ على أعدائكم بمنزلة المذق للشارب والنهزة للطامع، لأن الطامع يبيت من غير فرصة، فمع الفرصة أخرى، يقال: نهزة المخلص: أي محل ظفر المخلص عند النهزة والفرصة، وبمنزلة قبسة العجلان وموطئ الاقدام، لأن العجلان يقتبس بسرعة ولا يعهد منه، أو المراد: انكم كنتم مذقة لمن أراد الشرب، ونهزة لمن يتأتى منه الطمع، وقبسة للمقتبس العجلان ينال بغيته منكم بلا مؤنة، وموطئ الاقدام: من مشى عليكم وغزاكم، تشربون الطرق، والطرق: الماء الذي تطرقه الإبل والدواب وتبول فيه وتبعر، وتقتاتون الورق: أي تتخذون أوراق الشجر قوتا،^(٩) والملاحظ أنها (صلوات الله عليها) بدأت بذكر مآلهم وسوء عاقبتهم، ثم ثنت بوصف حالتهم السياسية والاجتماعية المأساوية، وثلث بذكر حالتهم الاقتصادية المزرية، ثم عادت لتشير إلى حالتهم النفسية والاجتماعية أيضا (أذلة.. من حولكم) قولها -عليه السلام-: (القد القديد وهو اللحم والجلد الذي يخفف في الشمس، وعادة تكثر فيه الديدان والتعفن، وقد كان اللحم الذي يأكلونه هو هذا، وكثيراً ما كانوا لا يجدون حتى هذا فيأكلون أوراق الأشجار، وكل ذلك لعدم اعتناء الجاهليين للمناهج الحيوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي أمر بها الإسلام والتي تصلحهم في دينهم ودنياهم، فكان كل شيء منهم في غاية التخلف والتأخر والانحطاط، وقولها -عليه السلام-: (أذلة) أذلاء جمع ذليل (خاسئين) مطرودين، وقد جاء في التاريخ ان أهل الجزيرة كانوا يستغيثون بكسرى وقيصر كي يشملهم بحكمه، وينقذ بعضهم من يد بعض، حيث ان الناس كانوا يتخطفونهم من حولهم، وقولها -عليه السلام-: (تحافون) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَتَآوَنَكُمْ وَيَتَذَكَّرُوا مِنْكُمْ﴾^(١٠) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ الأنفال: ٢٦، فأنهم كانوا في خوف دائم من أن يغير عليهم مغير فيستولي عليهم ويسلبهم ويجعلهم عبيداً واماءً، كما كانت عادة أن يتخطفكم الناس من حولكم الجاهليين فإن حال الأمم المستضعفة هكذا حتى في هذا العصر، مع اختلاف من حيث الزيادة والنقصان، والمذ والجزر، والنوعية والكيفية.^(١٠)

٩- مناقب أهل البيت -عليه السلام-: حيدر الشيرازي: (ص ٤٣٠)

١٠- ينظر: شرح الاخبار: القاضي نعمان المغربي: (٤٤٣) ومن فقه الزهراء: محمد مهدي الشيرازي: (٥٦/٢)

المطلب الثالث: الجاهلية الثانية

مر الاجتماع الاسلامي بفترة عصبية بعد وفاة النبي - ﷺ - اوشكت على اقتلعه من جذوره لولا رعاية الله سبحانه وحكمة الامام علي - عليه السلام -، لهذا لم تر الزهراء من سبيل لإنقاذ الاجتماع من الرجوع الى الجاهلية الاولى الا بخروجها الى الساحة لتأخذ دورها في رعاية امة ابيها وتخليصها من الانزلاق في الهاوية، خرجت الزهراء لتصف كل هذه الاحداث ولتحذرهم ولتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فقالت - عليه السلام - (فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ومأوى أصفياه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبع خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوتيه مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إيلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يتدمل، والرسول لما يُقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ﴿الْأَفِئْتَنَ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فهبها منكم، وكيف بكم؟ وأنى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لائحة، وأوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ ﴿يَسْأَلُ الظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، والجلباب: ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، فضربت فاطمة صلوات الله عليها ذلك مثلاً لهُتكهم حرمان الدين واستخفافهم بها، وقولها: ونطق كاظم الغاوين، فالكظم: السكوت، تقول: نطق من كان من الغد، أن قد اسكته رسول الله - ﷺ -، والغاوون جمع غاؤ، والغي: الضلال ضد الهدى.، وقولها: نبغ خامل الأقلين، يقال: نبغ فلان إذا قال الشعر ولم يكن قاله قبل ذلك، ونبغ ها هنا: ظهر اليوم من كان خاملاً من الأقلين، وقولها: وهدر فنيق المبطلين، البعير يهدر هديراً وهدرًا، والفنيق: الفحل من الإبل.، ضربته مثلاً لمن استفحل من المبطلين من الأمة فتراس عليها وتناول ما ليس له منها، وقولها: يخطر في عرصاتكم، تعني: الفحل من الإبل الذي ضربته مثلاً، والفحل من الإبل يخطر بزينه إذا مشى محتالاً، وكذلك الناقة، وكذلك الانسان إذا مشى يخطر بيديه كبراً، والعرصات: جمع عرصة، وعرصة الدار: وسطها، وقولها: واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخاً بكم، مغرز الشيء: أصله مثل مغارز الريش، ومغارز الأضلاع. (١١)

تشير سيدة الإسلام -عليها السلام- في هذا القسم من خطبتها إلى بقايا أحزاب الجاهلية والمنافقين، الذين ضَيَّقَ الخناق عليهم في زمن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، فأخفوا رؤوسهم في جحورها، واختبأوا في أوكارهم، وفجأةً خرجت حشرات الأرض هذه من جحورها بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وظهرت الخفافيش التي توارت عن الأنظار؛ بسبب هيبة وجود النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، وأصبحت تعبث في الميدان، وبدأت التحركات المشكوك، وعادت خطوط الانحراف تظهر من جديد، ودخل المتلاعبون بالسياسة ساحة المعركة، ولبي البعض لدعوة الشيطان، من هنا تبدأ حسرة بنت النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- العميقة؛ بسبب تلبية جمع غفير لدعوة الشيطان، سائرين خلف أصوات البوم المشؤومة، فأصبحوا آله بيد حزب الشيطان والمنافقين الذين غُميت قلوبهم، ورغم أن كفن الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يزل مبتلاً، ولم يزل صوت أذان مؤذنه يدوي في المسجد، وصرخة تكبيره ترن في القلوب، حتى ظهرت حركات الردة، باستثناء البسطاء ومريضي القلوب؛ لأنَّ مجموعةً قد اتخذت من التقية حجةً لسكوهم؛ خوفاً من أن الكلام يوقع الفرقة والاختلاف بين الجمع، وصاروا متفرجين لهذا المشهد، أو موافقين لأحداثه، حتى لا يبرز اختلاف، في حين أن موقفهم هذا، هو السبب في ذلك الانشقاق والانحراف الكبيرين!^(١٢)، وقولها (فوسستم غير إبلكم وأوردتم غير شريككم) أي يتوسمون من خلال عملية استعراض لعضلاتهم أو استعراض لموقف جديد، توسموا فيه نجاح السلوك المنحرف الصادر عنهم إلا أنه (توسم) لغير إبلهم... توسم للباطل.. ومن ثم ورود الابل المشار إليها لغير موردها المطلوب^(١٣)، ثم قالت صلوات الله عليها (هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل) والمراد بالعهد: موته -صلى الله عليه وآله وسلم-، والكلم: الجرح، والمراد بالرحيب: المتسع، ويقرب منه قولها -عليها السلام-: (والجرح لما يندمل) وهذا كناية عن عظم الأمر وشدته (ألا في الفتنة سقطوا) هذا من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة كما لا يخفى (فهيهاات وأنى بكم) أي هيهاات الخروج من الفتنة بعد سقوطهم بها، (وأنى بكم) كلام أخرج مخرج التعجب أي كيف تخرجون منها وقد فعلتم الأفاعيل العظيمة الشنيعة (وأنى تؤفكون) أي كيف يمثلون عن الحق والحال أن (كتاب الله بينكم) تتداولونه قد بينت فيه الزواجر عن الباطل، ولاحت فيه الشواهد، ووضحت فيه الأوامر بالطاعات (رغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون) (يعني أأنكم خالفتم كتاب الله ولكن لم بين وجه المخالفة أمن جهة الرغبة عنه، والزهاد فيه أم من جهة الحكم بغير كتاب الله من الأباطيل؟) (بئس للظالمين بدلاً)، يعني بئس ما استبدلوا بكتاب الله إذ اتبعوا غيره وحكموا به ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فيه إشارة إلى أنهم قد ابتغوا ديناً وطلبوا غير الإسلام؛ بسبب مخالفة كتاب الله وحكمهم بخلاف حكمه؛ لأنه هو قاعدة الإسلام، وباتباعه يحصل الإسلام، وهم في

١٢- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ١٢٨)

١٣- ادب فاطمة الزهراء: الدكتور محمود البستاني: (ص ٥٩)

الآخرة من الهالكين؛ لأنّ الخسران ذهاب رأس المال، ثم قالت (ثم أخذتم تورون وقدرتها وتهيجون جمرتها تسرون حسواً في ارتغاء وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء) صلوات الله عليها قد لمحت بقولها: (تسرون..). إلى المثل أي إنكم تظهرون الإسلام والمودة للرسول - ﷺ - ولكن تريدون خلافه، إذ لم تجزوا على مقتضى المودة في عدم النصرة لبنت نبيهم - ﷺ - (١٤)، وفي الخطبة الثانية وصفت - ﷺ - الانقلاب إلى الجاهلية الثانية، فقالت (فقبحا لفلول الحد واللعب بعد الجد، وقرع الصفاة وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلدهم ربقتهم، وحملتهم أوقعتها، وشنت عليهم غارها، فجعدا، وعقرا، وبعدا للقوم الظالمين ويحهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين)، ثم ان السيدة - ﷺ - تستغرب من هذه الانقلابة في المواقف بعد رحيل النبي الذي بذل جهده في ايصالهم الى نور الهداية، فقالت (الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين، الا لهم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجباً، وان تعجب فعجب قولهم، ليت شعري إلى أي لجا لجأوا، وإلى أي سناد استندوا، وعلى أي عماد اعتمدوا، وبأي عروة تمسكوا، وعلى أي ذرية قدموا واحتنكوا، لبئس المولى ولبئس العشير وبئس للظالمين بدلا، استبدلوا والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا ألا أنهم هم المفسدون، ولكن لا يشعرون، ويحهم أقم يهدي إلى الحق احق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون)، وأشارت الزهراء الى العصبية الجاهلية وطلب الثأر لدى القوم، فقالت لام سلمة عندما عادت في مرضها (أصبحت بين كمد وكرب فقد النبي صلى الله عليه وآله وظلم الوصي هتك والله حجبه، أصبحت إمامته مقتصة على غير ما شرع الله في التنزل وسنها النبي في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية وترات أحدية، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لا مكان للوشاة فلما استهدف الامر، أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الايمان من قسي صدورهم، وليس علي ما وعد الله من حفظ الرسالة، وكفالة المؤمنين أحرزوا عايدتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم في مواطن الكروب ومنازل الشهادات)، (١٥) ووصفت الزهراء في كلامها مع عائشة بنت طلحة الجاهلية الثانية بذهاب نور الدين (أسائلي عن هنة حلق بها الطائر، وحفي بها السائر، ورفع إلى السماء أثرا، ورزئت في الأرض خيرا، أن قحيف تيم وأحيوك عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تقربا بالحناق، أسرا له الشنان، وطوياه الإعلان، فلما خبا نور الدين، وقبض النبي الأمين، نطقا بغورهما، ونفتا بسورهما، وأدلا بفدك، فيا لها لمن ملك، تلك أنها عطية الرب الاعلى للنجي

١٤ - الدرّة البيضاء في شرح خطبة الزهراء: هادي الحسيني الصائغ: (ص ٥٠)

١٥ - مناقب آل أبي طالب: ابن شهر اشوب: (٤٩/٢)

الأوفى، ولقد نخلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وأنها ليعلم الله وشهادة أمينه، فإن انتزعا مني البلغة، ومنعاني اللمظة، واحتسبتها يوم الحشر زلفة، وليجدنّها اكلوها ساعة حميم، في لظى جحيم^(١٦) يظهر لنا من كلامها -عليه السلام- مسألة جاهلية أخرى هي منع ميراث المرأة، حيث اكدت -عليه السلام- هذه المسألة في خطبتها الأولى (ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي، أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون، أيها معاشر المسلمين ابتزّ إرث أبي، أبي الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئا فريّا، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعلم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نأ مستقرّ وسوف تعلمون، من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم)، وقالت فيما خاطبت وعانت به الأنصار: «ما هذه الفترة عن نصرتي، والونية عن معونتي، والغمزة في حقّي، والسنة عن ظلامتي - إلى أن قالت -عليه السلام-: أيها بني قيلة، أأهتضم تراث أبي، وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد)، ثم ان الزهراء احتجت عليهم بما جاء في القرآن من آيات واضحة الحكم والدلالة، لكن تأبى النعرات الجاهلية الا ان تحقق أهدافها (تزعمون أن لا أرث لي، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، يقول الله جل ثناؤه: ﴿وورث سليمان داود﴾ اختص من خبر يحيى وزكريا إذ قال ﴿رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ فرعتم أن لاحظ لي ولا إرث لي من أبي، أفحكم الله بآية أخرج أبي منها، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي -صلى الله عليه وآله وسلم-؟ ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾، بلغ حديث فاطمة -عليه السلام- أوجه في هذا القسم، مُدلاً على ألم وهيجان شديدين، فحرقة قلبها متأتية من ظهور أحكام الجاهلية مرةً أخرى؛ حيث إنّ الأنثى لم تكن لتورث في زمن الجاهلية، أمّا الإسلام فقد أبطل ذلك بعد مجيئه مقرأً بحصة وسهم جميع الأقارب في إرث المسلم، استناداً إلى ذلك، فإنّ الموضوع لم يكن مقتصرًا على مسألة (فدك) فحسب، بل إنّ المهم في الدرجة الأولى، هو خطر إحياء سنن الجاهلية، ومحو سنن الإسلام؛ لذا قامت في هذا القسم بتوجيه اللوم الشديد لهم، مكثفَةً حملاتها عليهم، والأعجب من كل ذلك، هو تعجيلهم في إنجاز هذا العمل بشكل أدرك معه الجميع أنّ مسألة (غصب فدك) لم تكن مسألةً عادية، فقد سعوا إلى هذا الغصب قبل أن يُحكموا قبضتهم على الخلافة، وتعبير آخر فإنّهم فكّروا بذلك قبل أن تغيب شمس ذلك اليوم، وهذه نقطة مهمة في فهم عمق هذه المؤامرة الكبيرة^(١٧).

١٦- بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (١٢٨/٢٩) واللمعة البيضاء: الانصاري التبريزي: (ص ٧٧٥)

١٧- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ١٣٢)

المطلب الرابع: اقضاء القيادة المعصومة

اراد الله سبحانه للامة الاسلامية ان تسير على النهج الالهي بعد وفاة النبي، وهذا لا يكون الا بالانصياع الى الامر الرباني في اختيار خلف النبي المعصوم القادر بان يرتقي بالاجتماع الى العلياء، لكن الناس بعد النبي اوقعوا انفسهم في دوامة كبيرة كادت ان تقضي عليهم، فاختلّفوا فيمن يخلف النبي، وبالأمس اقرؤا بالبيعة للأمام علي قائدا لهذه الامة، وهنا تتجلى مظاهر الجاهلية فقد تركوا امر الله ورسوله واعتدوا براي ساداتهم وزعاماتهم، والى ذلك اشارت سلام الله عليها (استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويجهّمون ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾) (والعجز بالكاهل) أي أن القوم سلّموا الأمور العظيمة، والمناصب الخطيرة وهي القيادة إلى من لا يليق بها، ولا يستطيع القيام بأمورها لعدم توفر الإمكانيات فيه، وعجزه عما يتطلبه الأمر من العلم والعقل والتدبير، وذلك بعد أن سلبوا تلك الإمكانيات من أصحابها الأكفاء ذوي اللياقة والخبرة والبصيرة، وهنا تقصد فاطمة الزهراء -عليها السلام- من هذه المقارنة أن علياً هو الرجل الكامل علماً وفضلاً وعقلاً، ومواهب، فهو أولى بالقيادة، وأحرى بالاتباع من أفراد ليسوا كاملين في العلم والعقل والتدبير وما شابه ذلك من لوازم القيادة، والتاريخ يثبت كلا الجانبين: جانب الكمال في علي -عليه السلام-، وجانب النقص في غيره، ثم قالت سيدة نساء العالمين في خطبة لها -عليها السلام- (وما الذي نقوموا من أبي الحسن؟! نقوموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله)، ومن المعلوم أن العرب كانوا يرهّبون من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ويخشون عدله في الرعية، ومساواته بين أفراد البرية، ولم يكن لأحد فيه مطمع، ولا لأحد عنده هودة، فالناس عنده في حقوقهم سواء، القوي العزيز عنده ضعيف ذليل حتى يأخذ الحق منه لصاحبه، والضعيف الذليل عنده قوي عزيز حتى يأخذ له بحقه ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧) التوبة: ٩٧، فمتى يرضيهم هذا العدل ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَعْلَمُهُمْ سَتَعَدُّهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّوهُمْ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠١) التوبة: ١٠١، وفيها بطانة لا يألونه خبالا فهل يألّفون الوصي، أو يردون منهله الروي؟! كلا، بل اتفقوا على جحوده، وأجمعوا على مكاشفته بكل صراحة، وكانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله، حيث بلغ - في علمه وعمله ونصحته وإخلاصه وحسن بلائه - رتبة عند الله ورسوله تقاصرت عنها الأقران، ونال من الله ورسوله - بخصائصه من سوابقه ولواحقه - منزلة قد انقطعت دوتها المطامع، وبذلك دبّت عقارب الحسد له في

قلوب المتنافسين من الزعماء وكبار القوم، فاجتمعوا على نقض عهده مهما كلفهم الأمر، ومهما قاسوه من شدة وعناء وموت المجتمع عقائدياً. (١٨)

المطلب الخامس: اسباب التزلزل في المجتمع

اسس النبي مجتمعاً إيمانياً متماسكاً في المدينة المنورة، يقوم على التقوى والعمل الصالح، وقد اشارت الزهراء الى ذلك رغبة منها في تحريك وأيقاظ الهمم لنصرتها، كما نصرها النبي من قبل، فابتدأت بعتابهم (إيهاً بني قيلة! أأهضمُ تراث أبي، وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدئ ومجمع؟ تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة، وأنتم ذو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنّة، توافيكم الدعوة فلا تحيون، وتأتيكم الصرخة فلا تعيئون)، ثم انها -عليها السلام- ذكرت مواقفهم لخدمة الإسلام (وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت، قاتلتكم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتكم الأمم، وكافحتكم البهائم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأمرون) ثم تساءلت عن سبب حيرتهم وتخليهم عن وصية النبي بعد ما أصبح مجتمعهم لا يستهان به (حتى إذا دارت بنا رحي الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت نعمةُ الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيرانُ الكفر، وهذأت دعوةُ الهرج، واستوثق (واستوسق) نظامُ الدين، فأثى جُرم بعد البيان؟ وأسرتكم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ ﴿أَلَا تَفْقَهُوا فَوَماً نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهْمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٣)، وبعدما رات الاعراض منهم ذكرت -عليها السلام- اسباب خذلانهم للحق ((ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمجبتم ما وعيتهم، ودسعتهم الذي تسوغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغنيٌ حميدٌ، وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجدلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثّة الصدر، وتقدمة الحجة) بعدها تغوص هذه المعلّمة القديرة في أعماقهم؛ لتستخرج سبب سكوتهم الأصلي، فتشير إلى أنّ المسألة هي أن استولى عليكم حب الدّعة وطلب الراحة، واستسلمت أجسادكم للاستراحة، فرغم أنكم شاهدتم بأعينكم تحية وتباعد من هو أحق وأليق بالخلافة من غيره عنها، إلا أنكم التزمتم جانب الصمت نعم، تستمر عجلة الثورة إلى الوقت الذي يحتفظ الأشخاص بالروح الثورية، ولم يخضعوا لميولهم الدنيوية، وإلا ركعوا أمام المصاعب والمشاكل، غير مباليين بما يمرّ بهم من حوادث مُرّة، وبالتالي يخبت نور الثورة (١٩).

١٨- مجلة تراثنا: (ص ٢٦٠) وفاطمة من المهدي الى اللحد: محمد كاظم القزويني: (ص ٢٩٣)

١٩- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ١٤١).

المبحث الثاني: الاجتماع الاسلامي

المطلب الأول: حال الاجتماع العربي عند مجيء الاسلام

أكرم الله سبحانه وتعالى العرب ان بعث فيهم نبيا منهم ﷺ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾

آل عمران: ١٦٤، لكنهم واجهوا دعوته وكذبوه، الا ان النبي - ﷺ - وجد في يثرب من رحب بالدعوة الاسلامية بعدما صدقها قريش، ولهذا مدحت السيدة الزهراء موقف اهل المدينة المنورة في خطبتها، فقالت: (وانتم ذو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنّة)، ثم انما - ﷺ - ذكرت مواقفهم لخدمة الإسلام، فقالت: (وانتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبتم، والخيرة التي اختيرت، قاتلتهم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتهم الأمم، وكافحتهم البهيم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأثمرون)، وقولها (العدة) بالضم الاستعداد، والعدة أيضا ما أعددت له حوادث الدهر من المال والسلاح، و(الأداة) بفتح الهمزة الآلة، والمراد من القوة أسباب الغلبة، (الجنة) بضم الجيم المحن، و(موافاة) الدعوة كناية عن بلوغها لهم، وكذا اتيان الصرخة، و(الكفاح) بالكسر استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جنة، و(النخبة) كغرفة وهو المنتخب المختار، و(الخيرة) كعنبه المفضل من القوم المختار منهم، وكون الأنصار منتجبين مختارين إنما هو من جهة نصرتهم النبي المختار حين هاجر إليهم ولذا سموه بالأنصار، والمراد مدح أصل نوعهم وجنس طائفتهم لا كل واحد من أشخاصهم، فلا يضر كون بعضهم مذموما مقدوحا، وعن قرب دار الله مردودا، وقولها - ﷺ - : (قاتلتهم العرب...) كأنه بيان وجه للجمل السابقة التي ذكرت في مقام المدح، فإن وجه مدحهم بما ذكر انهم قاتلوا العرب في نصرة النبي - ﷺ - وإعلاء كلمة الإسلام، وتحملوا الكد والتعب في مجاهدة الكفار، وقولها: (الأمم) جمع الأمة، والمراد من الأمم اما الجماعات المختلفة، أو الملل المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهما، والمراد من مناطحة الأمم محاربة الخصوم ومدافعتهم بجد واهتمام كما يدافع الكباش قرنه بقرنه، و(البهيم) الشجعان، ومكافحتها التعرض لدفعها من غير توان وضعف، وقولها - ﷺ - : (لا نبرح نأمركم) أي لم نزل عادتنا الأمر وعاداتكم الإثمار، و(دوران) رعى الإسلام كناية عن انتظام أمره (٢٠)، ويمكننا القول ان الزهراء - ﷺ - مدحت المهاجرين والأنصار الذين ضحوا بكل ما لديهم من اجل نصرة الإسلام، بل تفانوا في الدفاع عن الدين الاسلامي، ان هذا المدح كان في بداية الدعوة والنبي بين صفوفهم، وما انتقل النبي الى ربه خمدت روح الثورة فيهم وانقلبوا على اعقابهم ﷺ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ

مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ آل عمران: ١٤٤.

المطلب الثاني: مقومات المجتمع الاسلامي

للمجتمع الاسلامي مقومات بها يبني ويدوم، ذكرتها الزهراء في خطبتها الفدكية، واثرت كل منها في الفرد والمجتمع (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تركيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة (للفرقة)، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونةً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامة، وبرّ الوالدين وقايةً من السخط، وصلة الأرحام منامةً للعدو، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكايل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية). وعلى هذا فللمجتمع الاسلامي في نظر السيدة الزهراء مقومات ومرتكزات، كل منها له اثره في بناء المجتمع وازدهاره منها: المقومات العقائدية:

أولاً: المعتقد السليم (التوحيد)

ان التمسك بالمعتقد السليم في المجتمع كفيل بنبذ الفرقة والتشتت وضمان لرص الصفوف والوقوف بوجه اعداء الدين، اما اذا ما نخر المجتمع الاعتقاد المنحرف وهرع كل حزب ما يروونه ويعتقدونه بعيدا عن المنبع الاصيل للدين فان التشتت والانحيار هو المصير الحتمي لهذا المجتمع وقد وصفت الزهراء -عليها السلام- الايمان بالله وحده دواء للشرك، فقد يقصد الناس اشخاصا يشركهم بعبادة الخالق ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يوسف: ١٠٦، فقالت -عليها السلام- (فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك) ان الله جعل الايمان بدلاً من الشرك، اي اذهب الله سبحانه عنكم ادناس الشرك، وارجاس الجاهلية، وبدلها بطهارة الايمان، فالشرك بمنزلة اسباب المرض والايمان تعقيماً لها، والشرك اوساخ متعلقة بالأذهان، ملتصقة بالعقول وقد تلوثت القلوب بها، والايمان تطهيراً عاماً لإزالة تلك الاوساخ بعد ان اوضح سبحانه للناس السبيل والمحجة في الامور الدينية والدنيوية وازال رين الشك عن القلوب الكدرة^(٢١)، لقد حرم الله الشرك، ولم يفتها -عليها السلام- ان تشير الى علة تحريم الشرك (وحرم الشرك اخلاصاً له بالربوبية) فالشرك نوع من الكفر، والواجب على العباد ان يعبدوا الله مخلصين له الدين، فان من لم يُشرك بالله فقد اخلص لله بالربوبية، فالشرك يمثل ابتعاداً عن الاخلاص لله^(٢٢)، وفي المحصلة ان الزهراء -عليها السلام- اكدت وجوب اخلاص العباد لله وحده لا شريك له وقطع الطريق

٢١- اللمعة البيضاء: محمد بن علي الانصاري التبريزي: (ص ٣٧٢).

٢٢- الزهراء القدوة: فضل الله: (ص ٢٥٩ - ٢٦٠).

على الذين يحاولون ادخال العقائد الفاسدة في الاسلام وادخال انواع من الشرك في اعتقادات المسلمين، قالت الزهراء -عليها السلام-: (المتنع عن الابصار رؤيته)، فرؤية الله ممتنعة عن الابصار لا البصائر، والمراد من قول الزهراء -عليها السلام- ان الله لا يُدرك بالحواس الظاهرة مطلقاً، وقولها -عليها السلام-: (ومن الاوهام كيفية)، والوهم على سعة لا يمكنه ادراكه سبحانه، فكيف بالعين الصغيرة؟^(٢٣) ويمكننا القول ان هذا المعتقد السليم يسمو بالاجتماع، فالعلم ما لم يقتزن بالمعتقد السليم لا يوصل الانسان لله، فانك ترى بعض الشعوب المتقدمة علمياً متخلفة عقائدياً، يركعون لأصنام صنعوها، او لحيوانان بذلوا جهداً في العناية بها.

ثانياً: العدل

العدالة في الاسلام واحدة من اهم اركان هذا المجتمع، حيث يضمن الاسلام للأفراد حقوقهم، فيعيش الكل متنعمين متساويين في الحقوق والواجبات، وقد اشارت -عليها السلام- الى مسألة مهمة فقالت: (والعدل تنسيقاً للقلوب)، فإن من أهم ثمار العدل تنظيم قلوب الناس، حيث يرى الناس أن الحاكم يساوي بين الناس ولا يقدم بعضاً على بعض، عبثاً واعتباطاً، ولذلك فهم يتعاطفون مع الحاكم ويلتفون حوله، كما تتوثق به أواصر العلاقة بينهم أنفسهم، وبعضهم مع بعض، والمجتمع الذي تسود فيه روح التعاطف والتحاب، وتتصافى فيه القلوب يكون مجتمعاً مستقراً متكاتفاً متقدماً إلى الأمام^(٢٤)، إن العدل في المجتمع بمنزلة الخيط في السبكة، فالعدل الفردي والزوجي والعائلي والاجتماعي والعدل مع الأسرة ومع الناس يكون سبباً لتنظيم القلوب وانسجامها بل واندماجها، وإذا فقد العدل فقد الانسجام، وجاء مكانه التنافر والتباعد والتقاطع، وأخيراً التقاتل، وليست العدالة من خصائص الحكّام والولاة والقضاة، بل يجب على كل إنسان أن يسير ويعيش تحت ظلال العدالة، ويعاشر زوجته وعائلته وأسرته ومجتمعه بالعدالة إبقاءً لمحبة القلوب،^(٢٥) والعدالة الاجتماعية تغسل الأحقاد من القلوب، وتزيل الاضطرابات وتقر التنظيم، عن طريق قبول قيادة الهداة المعصومين، يمنح الله المسلمين نظاماً اجتماعياً سالماً منتهجاً خط التوحيد، ويبعد عنهم النفاق و التفرقة.^(٢٦)

ثالثاً: الامامة

سمو الامم ورفيها مناط بالتزام الامة بما جاء عن ربها من أوامر، والامامة التي نص عليها القرآن الكريم وثبتها النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في اقواله ما هي الا الدواء الشافي الذي يضمن للامة تجاوز كل العقبات والسير بالناس على منهج النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ لذا تذكر ابنة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في حديثها بما قدّمه أمير المؤمنين علي -عليه السلام- من خدمات لهذه الأمة، وكيف أنّ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كان يرسله لمواجهة الحوادث الخطرة والتصدي

٢٣- من فقه الزهراء: محمد الشيرازي: (٦٨ / ٢).

٢٤- المصدر نفسه: (٢٢٠ / ١).

٢٥- فاطمة من المهدي الى اللحد: محمد كاظم القزويني: (ص ٢٦٤).

٢٦- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ٧٤).

لها، وهو يقوم لها مؤثراً بنفسه، مضحياً وفدائياً، فينقضُّ على الفتن فيخمدنها ويعود منتصراً، أهوى برؤوس المتكبرين إلى الأرض بسيفه، ومرغ هامات الطواغيت بالتراب، وكان ناصراً ومساعداً للرسول - ﷺ -، وحامياً ومدافعاً في كلِّ مكان، نعم، فمثل هذا الفرد العظيم يستطيع أن يُدِيمَ خطَّ هذه الثورة الكبيرة، ويمنع عنه الانحراف.^(٢٧) ويمكننا ان نستنتج من خطبة الزهراء - عليها السلام - ان هناك صفات كانت لعلي بن ابي طالب - عليه السلام - تؤهله لقيادة الامة الاسلامي ذكرتها الزهراء - عليها السلام - بقولها (وبعد ان مني بهم الرجال، وذوبان العرب، ومردة اهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن للشيطان وفغرت فاعرة من المشركين قذف اخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطاء صماخها بأخصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في امر الله، قريباً من رسول الله، سيد أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً) وهذه الصفات هي:

(مكدوداً في ذات الله) قد أخذ التعب والعناء منه كل مأخذ، كل ذلك لله وفي الله ولوجه الله وفي سبيل الله، (مجتهداً في أمر الله) المجتهد - في اللغة - الذي يجهد نفسه أي يتعبها، كان علي - عليه السلام - يبذل ما في وسعه وطاقته وجميع إمكانياته لتحقيق أهدافه السامية، وتحصيل أمنيته، وهي إعلاء كلمة الله، (قريباً من رسول الله) ليس المقصود القرب المكاني، بل القرب المعنوي، من حيث قرابة النسب، وانسجام الروح، واندماج النفس واتحاد الاتجاه، ووحدانية النفس، فعلي - عليه السلام - نفس الرسول - ﷺ - بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وأنفشنا وأنفسكم﴾ وهل هناك قرابة أو نسب أقوى من هذا؟ (مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً) هكذا تصف السيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام - زوجها العظيم، كأنه يشمر عن ثيابه نشاطاً واستعداداً للعمل للإسلام ولصالح الإسلام، في سبيل إسعاد المسلمين، وبذل النصيح، وهو حب الخير لهم، كان مجداً في العمل، ساعياً فيه، لا يمنعه التعب عن استمرار العمل، نعم، كانت حياة الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - كلها جهوداً وجهاداً، ونشاطاً وإنتاجاً وإنجازاً وخدمة للإسلام والمسلمين، فمواقفه في جبهات القتال مشهورة، وأعماله الفدائية في سبيل الإسلام مذكورة، وتفانيه وتضحياته في سبيل الله معروفة، هذا في الوقت الذي كان فيه غيره (وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون) كان علي - عليه السلام - يستقبل الأخطار والأهوال في الوقت الذي كان المسلمون بعيدين عن تلك الأخطار، مشغولين بأنفسهم يتمتعون بالراحة، ويتفكرون في تحصيل الملذات، وإشباع الرغبات، لا يعرفون معنى الخوف^(٢٨)، وفي الخطبة الثانية التي خطبتها في نساء المهاجرين والانصار ذكرت - عليها السلام - صفات الامام علي - عليه السلام - (وما الذي نقموا من ابي الحسن؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله) أي عابوا شدة سيفه، والمقصود أن علياً

٢٧- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ١٢٥-١٢٦)

٢٨- ينظر: فاطمة من المهد الى اللحد: محمد كاظم القزويني: (ص ٢٢١).

كان قد قتل في الحروب والغزوات رجالاً هؤلاء وأسلافهم، وحطّم شخصياتهم، فكانوا يكرهونه بسبب سيفه الخاطف للأرواح، (وقلة مبالاته بحتفه) أي عدم اهتمامه واكتراثه بالموت، فالمجاهد الذي ينزل إلى جبهة القتال ينبغي أن يكون قليل المبالاة بالموت، فكما أنه يقتل كذلك يُقتل، وكان علي -عليه السلام- يقول: والله لا يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أو وقع الموت عليه، (وشدة وطأته ونكال وقعته) المقصود قوة العضلات ومعرفة القتال، ونكال الوقعة أي كان يصنع صنيعاً يحدّر غيره ويجعله عبرة له، وكانت ضربته وصدمته للأعداء نكالاً أي يورث الحذر والعبرة للآخرين، (وتنمّره في ذات الله عز وجل) النمر شديد الغضب، إذا غضب لنفسه لم يبالي: قلّ الناس أم كثروا، ولا يرده شيء، ولا يحول دون هدفه حائل ولا يمنعه مانع، والرجل الشجاع الذي يجاهد بلا مبالاة ولا خوف، بل بكل غضب وشجاعة يقال في حقه: تنمّر، أي صار شبيهاً بالنمر في الاقتحام..^(٢٩)، وهنا يمكننا القول ان الزهراء -عليها السلام- ارادت من اقوالها ان تؤكد ان المجتمع الاسلامي لا يرتقي الا بالقيادة المعصومة صاحبة الصفات السامية، كما ان في اقوالها تحذيراً من الالتفاف خلف من لا يملك المؤهلات القيادية التي تؤدي الى الانزلاق في الهاوية خصوصاً ان الامة حديثة العهد ولها من الاعداء من يتحين الفرض للقضاء عليها وجودياً او عقائدياً، لذا اكدت الزهراء -عليها السلام- في خطبتها على ذلك فقالت (واطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا اماناً للفرقة) بينت الزهراء -عليها السلام-: أنّ طاعة أهل البيت -عليهم السلام- سيحفظ الشرع المقدس من كل اختلاف أو تصلّع، وسيسير على نسقٍ واحد، بعيداً عن الآراء والظنون المرتجلة التي تبعد الشرع عن حقيقته. وهنا تبرز عظمة الزهراء -عليها السلام- حتى في حديثها المسترسل حيث تقول: "وطاعتنا فهي لم تقل: محبتنا أو موّدتنا أو حبّنا، وإنّما أعطت هذا المفهوم جانبه الثابت غير الخاضع للجدل والتأويل، إذ إنّها لو استعملت لفظة: المودّة أو المحبة، لأمكن صرف اللفظ هذا إلى غير معناه، لقليل -مثلاً- محبة أهل البيت واجبة ولكن لا يعني عدم جواز اتباع غيرهم والخضوع له سياسياً أو إدارياً، والزهراء حين تعلن أنّ طاعة أهل البيت على الصّعيد التشريعيّ أمر فرضه الله سبحانه كما فرض الإيمان والصلاة -إنّما تقرّر بذلك حقيقة منطقية ثابتة نطق الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- بها وأكّدها عشرات المواقف بشهادة كبار الصحابة والتابعين، وقد اتخذ ذلك الطّابع الإلزامي الصّارم على لسان الرسول القائد يوم أعلن أمام الألوّف المحتشدة -وبعد عودته من حجّة الوداع- إمامة عليّ -عليه السلام- بقوله: "من كنّ مولاه، فهذا عليّ مولاه... فتعلن كون إمامة أهل البيت -عليهم السلام- وقيادتهم لهذه الأمّة مفروضاً من الله سبحانه كسائر الواجبات، ولكنّ علّة هذا الفرض تتجلّى في تخلص الأمّة من شبح التمزق والإنقسامات المصلحية؛ لأنّ إقصاء أهل البيت -عليهم السلام- - وهم معدن الحكمة وخريجيو مدرسة الوحي - عن مركزهم القياديّ يجعل من الممكن قيام صراع سياسيّ على الحكم والإدارة، لأنّ سائر الناس -بعد أهل البيت- يرون أنفسهم جميعاً أهلاً لقيادة الأمّة، أمّا إذا تولّى أهل البيت

هذا المقام الرفيع فإنّ أحداً من الناس غير قادر على بلوغ مقامهم الذي يؤهم الله سبحانه فيه من معرفة تامة لمعالم الشريعة الإسلامية أو من عصمة نفسية تحفظهم من كلّ شطط أو خطأ في أحكامهم وقراراتهم ومن كلّ إثم في سلوكهم وفعالياتهم وإذا كان لأهل البيت -عليهم السلام- هذا المقام الرفيع في الأمة الإسلامية، أصبح بمقدورهم أن يقودوا الأمة الإسلامية الى شاطئ السعادة الذي هيأه الله سبحانه لهذه الأمة الكريمة، وإذن فإن الزهراء -عليها السلام- وهي غرس النبوة- قد ضربت على الوتر الحساس من المسألة حين تعلن: أنّ إمامة أهل البيت -عليهم السلام- ابتعاد عن الفرقة والاختلاف على الصعيد السياسي والاجتماعي..(٣٠).

المطلب الثالث: المقومات التشريعية والفقهية:

أولاً: دستور المجتمع (القران الكريم)

سعت الامم قديما وحديثا لوضع دساتير تكون منهجا يسير عليه افرادها لضمان الحقوق وتعيين الواجبات الملقة عليهم، وقد حققت تلك الدساتير نجاحا ملموسا اذ فرضت قوانينها بحزم بين افراد المجتمع، اما الدساتير الالهية المتمثلة بالكتب السماوية فقد ضمنت لأفرادها السعادة في الدنيا والاخرة، وبهذا حكم نبي الله داود وسليمان -عليهما السلام-، وجاء نبي هذه الامة بأعظم دستور رباني هو القران الذي وصفته الزهراء -عليها السلام- بقولها (وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائر، منكشفة سرائره، متجليّة ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤدّ إلى النجاة استماعه، به تُنال حجج الله المنورة، وعزائم المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورُخصه الموهوبة، و شرائعه المكتوبة).

نبهت -عليها السلام- إلى عظمة القرآن على أنه كتاب ناطق و نور جلي وضوء مشع، حارب و بشدة ظلمات الجهل والتعصب و الخرافات، ذلك الكتاب الذي ظاهره الجمال و النور، و باطنه العبرة و المعنى ذلك القائد الذي يضمن لتابعيه النجاة، حيث دعاهم إلى جنة أزلية، فهو قائد النجاة الذي يبن بمنطقه الفصيح أدلة التوحيد، و ثبت مبادئ العقيدة ببراهينه النيرة، و أفصح عن البرامج العملية التي يحتاجها المرء في طريق تكامل الإنسانية، فشخص «المباح» من «المحظور»، «الجيد» من «الرديء» و «الحق» من «الباطل»..(٣١) وعلى هذا يمكننا القول ان التشريعات التي جاء بها دستور الامة (القران) قادرة على مواكبة الاحداث في كل زمان ومكان؛ لان مصدرها الله سبحانه، فما على المسلمين الا التمسك بالقران، ومن نزل فيهم (الثقل الثاني) ليضمنوا رقي المجتمع، ومن التشريعات التي ذكرتها الزهراء في خطبتها:

٣٠- الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان محمد: (ص ٥٠)

٣١- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ١٥)

أولاً: الصلاة

المقصود من تشريع الصلاة هو القضاء على رذيلة الكبر، لأن الصلاة خضوع وخشوع لله وركوع وسجود وتذلل، وأكثر المصابين بداء الكبرياء هم التاركون للصلاة^(٣٢) ولهذا المعنى اشارت الزهراء -عليها السلام- (والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر) واثار الصلاة في المجتمع عظيم، فهي تساوي الجميع في صف واحد ووقت واحد عندما يقيموا صلاة الجماعة، فتتكسر الحواجز بين الفقير والغني، وصاحب المنصب والبسيط، وبالتالي تكسر في النفس التكبر^(٣٣) والإنسان - في الوقت الذي يستشعر العبودية لله وحده في نفسه- يحسُّ بالتحرُّر المطلق من كلِّ عبودية لغير الله تعالى، فالإنسان وسائر أبناء جنسه يعيشون في إطار يحمل منتهى العبودية لله الكبير المتعال، وفي الوقت ذاته يعيشون على صعيد واحد من الكرامة والسؤدد، فلا بدَّ -إذن- أن تلغى كلُّ معالم الخيلاء والتكبر من المجتمع الذي يعيش في إطار الرسالة الإسلامية الكريمة، وعملية الإلغاء لصفة التكبر في نفسيات الأفراد بعضهم على البعض الآخر، لا تتم إلا عن طريق الشعور بالخضوع لله وحده، وهذا الخضوع يتجسّد سلوكاً ثابتاً في نطاق الصلاة التي رسم الإسلام حدودها، وبين معالمها وإطارها، ولهذا السر -عينه- تنطلق الزهراء -عليها السلام- لتؤكد للأمة بامتدادها التاريخي: أنَّ الصلوة تنزه الفرد والمجتمع من أدواء الخيلاء والغرور والاحتيال، انطلاقاً مما تبثّه الصلوة من إشعاعات روحية واجتماعية في نفسية الإنسان المسلم ومجتمعه^(٣٤).

ثانياً: الزكاة

الزكاة من مقومات نجاح وسمو المجتمع الاسلامي فهي تطهر النفس والمال ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٠٣) التوبة: ١٠٣ وتنعكس اثرها ايجابيا في نفوس الفقراء اذ يشعرون بالاهتمام والرعاية في هذا المجتمع، كما يكون لها مردودا في نماء المال نفسه، قالت الزهراء (والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق) حين تستقي الزهراء -عليها السلام- معالم التشريع من منبعه الاصيل - كتاب الله العزيز- كذاك تستقي الصورة التي سطر بها القرآن الكريم معالم التشريع، فقد اعتاد القرآن - مثلاً- أن يذكر مفهوم الزكاة بعد ذكره لمفهوم الصلوة، وهذه الصيغة تتعدّد في كثير من آيات التشريع المبارك، ولهذا السر عينه راحت الزهراء تحلّي فلسفة الزكاة، بعد ان ذكرت فلسفة الصلوة، وانطلاقاً من التلقين القرآني لمثل هذه التعليمات الإلهية الجليلة، وإذا اتّضح لنا هذا فإنّما يتجسّد أمامنا المدى البعيد الذي أثره القرآن الكريم بنفسية الصديقة الزهراء -عليها السلام- فهي تمثّل شخصية إسلامية رسم القرآن الكريم كلّ معالمها حتى في مثل هذه الأمور، كما أنَّ هذه الحقيقة تعكس لنا صورة حيّة عن أهل البيت -عليهم السلام- ومدى تطبيقهم لمعارف

٣٢- فاطمة من المهدي الى اللحد: محمد كاظم القزويني: (ص ٢٦٣)

٣٣- والقت الزهراء خطبتها: كاظم القزويني: (ص ١٣٠)

٣٤- الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان: (ص ٤٥)

التشريع الإلهي على سلوكهم في أصوله ودقائقه ومعالمه وتفصيلاته، والزهراء -عليها السلام- بعد ذلك تعلن فلسفة الزكاة، فتقول عنها: إنّها تركية للنفس الإنسانية، ولكنها لم تحدّد بعد ذلك مفهوم التزكية هذا ومداه ومنطلقه وحدوده، فما الغاية التي استهدفها الزهراء -عليها السلام- من ذكر مفهوم التزكية هنا؟ خلق الله الإنسان وخلق معه غرائز وطاقات لا يمكن التغاضي عن إشباعها بأيّ حال من الأحوال وتأتي في طليعة هذه الطاقات غريزة حبّ التملّك، فالإنسان مجبول على تملّك ما تناله قواه من ثروات -أنيّ كان نوعها- وقد تستبدّ هذه الغريزة بالإنسان فتجعل من حياته حياة جافّة سلبية لا تحمل في رحابها أيّ نوع من أنواع الرّحمة والعطف، فتزدحم الحياة بالصّراع العنيف بين الدّموع والابتسامات، ويحدث التناقض المرير بين أصحاب الرّاء الفاحش وسواهم من الفقراء والمعدمين، وهذا ما يجري فعلاً في المجتمعات الرأسمالية الجائرة - اليوم - حيث تستبدّ غريزة التملّك لدى الأفراد فتحوّل الحياة إلى شبح من الأنانية والإستئثار، ضحيته الأخلاق والرّحمة والعطف ومحصله الصّراع والاضطراب النفسي والإجتماعي، واستبداد هذه الغريزة يزداد شدّة وخطراً إذا وجد مقياس، يجعل من الحياة مجرد لذة مادية ومنفعة بيمية خالصة محدودة بإطار الحياة الموقوتة، وهذا ما ينطبق -فعلاً- على الحياة التي جسّدتها الحضارة الغربية الهوجاء، ويتطرّف لون جديد من الحضارة تحت مطارق العسف والإستئثار، فيعلن: أنّ علّة هذا الفساد الإجتماعي، إنّما هو غريزة حب التملّك، ولذا وجب أن تمحى هذه الغريزة من برامج الحياة الإنسانية -مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات- ولذا وضعت برامج الكبت والقتل الجماعي، ومصادرة الحريات، تحريّاً عن هذه الغريزة الفطرية، ولكنّ هذا المذهب الإجتماعي المتمثل بالنّظام الاشتراكي قد تعرّض للتحوير والتّبديل -غير مرّة- بحجة التدرّج في التّغيير الإجتماعي، ولكنّ الحقيقة: أنّ الفطرة هي التي حتمت هذا التبديل المتكرّر، بل إنّ غريزة التملّك هي التي وقفت سدّاً منيعاً في مواجهة المشاريع التي أريد منها أن تلغي هذه الغريزة من قاموس الحياة الإنسانية، ووقوع النّظام الإشتراكي في هذا الخطأ كان نتيجةً للتّصور الخاطئ الذي تُصوّر إزاء قضية التملّك، فاعتقد -خاطئاً- أنّ أساس المحنة إنّما كان بسبب وجود غريزة التملّك التي جسّدتها الحضارة الرأسمالية التي امتدت سيطرتها على الإنسانية -زمناً غير قصير.

واما قول الزهراء (تزكية للنفس) أي من دنس الذنوب، او البخل اشارة منها لقول الله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣)، فإنّها تركية للنّفوس البشرية من أنانيّتها واستئثارها ودوافعها الفرديّة الجافّة، وتحويلها إلى طاقات إنسانيّة هادفة تخدم المجموعة الإنسانية^(٣٥)، قال الامام الرضا -عليه السلام- في علة تشريع الزكاة (توطين النفس على الصبر مع ما في ذلك من اداء شكر نعم الله عز وجل والطمع في الزيادة مع ما فيه من الزيادة والرّافة والرّحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة والحث لهم على المساواة وتقوية الفقراء والمعوّنة لهم على أمر الدين، وهي عظة

لأهل الغنى، وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم ومالهم من الحث في ذلك على الشكر لله تبارك وتعالى لما خولهم وأعطاهم والدعاء والتضرع والخوف أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الارحام واصطناع المعروف).^(٣٦) وثمة حقيقة أخرى نلمسها من كشف الزهراء -عليها السلام- لفلسفة الزكاة، تلك الحقيقة، تتمثل في أنّ النفوس البشرية سيختفي ما تنطوي عليه من بغضاء وأحقاد، سيّما نفوس المحرومين، فهم حين يرون اصحاب الثروة يدفعون لهم نصيبهم منها متمثلاً بضريبة الزكاة، فستكون نظرهم لهؤلاء نظرة حبٍّ واكبار، يتحوّل التناقض والعداء بعدها إلى إخاء وإخلاص ومحبة، اما الوجه الثاني لفلسفة الزكاة، فهو قولها -عليها السلام-: (ونماء في الرزق) فليست الغاية من الزكاة تركية للنفوس من الأناثية والبغضاء -فحسب- وإتّما لها غاية تتعلق بمحيط الإنسان -نفسه- فينمو رزقه وتزداد ثروته وتكثر خيراته، وحين تعلن الزهراء -عليها السلام- هذه الحقيقة لم تقلها عفواً أو شططاً، وإتّما تلمس هذه الحقيقة من كتاب الله سبحانه،^(٣٧) حين يعلنها بقوله ﴿و لو أنّ أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ الأعراف: ٩٦.

ثالثاً: الصيام

يعيش المجتمع الاسلامي في شهر رمضان اجواء ايمانية ارادها الله طيلة ايام السنة، فتشريع الصيام له فوائد عظيمة تعود على الفرد والمجتمع ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٨٤، وقد اشارت الزهراء -عليها السلام- الى احد الامور التي ينتفع بها المجتمع عند الصيام فقالت (والصيام تنبيهاً للإخلاص) فإن الإخلاص الذي في الصوم عميق جداً، إذ إنّ الإنسان يستطيع عادة أن يتظاهر بالصوم ويرتكب المفطرات سراً، فالإخلاص يثبت ويتقوى بالصيام حيث يروض الإنسان نفسه بالامتناع عن المفطرات مع شدة الشوق إليها، أما الإخلاص في سائر الأمور فهو من المرجحات، ويمكن أن يقوم الإنسان بكل عمل -كالواجبات التوصيلية والمباحات- بقصد القرية الخالصة له سبحانه وتعالى، والإخلاص لله تعالى - إضافة لآثاره الأخروية- من أكبر عوامل التقدم والنهوض بالأمة واستنقاذها من واقعها المر، فإن المخلص يضحى بوقته وصحته وماله ونفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، أما غير المخلص فتراه يضحى بمصالح الدين والأمة لأجل أن يعيش حياة مرفهة.^(٣٨)

٣٦- علل الشرائع: محمد بن علي الصدوق: (٢ / ١٠٥)

٣٧- ينظر: الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان: (ص ٤٧)

٣٨- من فقه الزهراء: محمد مهدي الشيرازي: (٢ / ٢١٦)

رابعاً: الحج

الحج تجمع عالمي للمسلمين في مكة المكرمة حيث تظهر عظمة المجتمع الاسلامي بما يسود في هذا الملتقى الایمانی من سمو في الاخلاق وتجمع الناس تحت راية التوحيد، وقد عبرت الزهراء -عليها السلام- عنه بقولها (وقد جعل الله الحج تشبيداً للدين) حيث أنه -بالإضافة إلى جوانبه العبادية والاقتصادية وغيرها- يعد مؤتمراً عاماً لكل المسلمين، حيث يجتمعون ويتعارفون، ويعالج بعضهم مشاكل بعض، وتذوب بينهم الفوارق الإقليمية واللونية واللغوية وغيرها،^(٣٩) وحين تنكشف لنا الفوائد الجليلة التي شرع الحج من أجلها من تحقيق لواقع إسلامي مصغر أو فهم للمشاكل المشتركة وغير المشتركة لدى الشعوب الإسلامية، حين ينكشف لنا هذا المغزى الرصين من تشريع الحج نكون قد فهمنا الدافع الذي حمل الزهراء -عليها السلام- لتعد الحج تشبيداً للدين.^(٤٠)

خامساً: الجهاد

تكون الامة محترمة عند الشعوب الاخرى متى ما كانت قوية ومتماسكة لديها من الابداء من يضحى بنفسه من اجل بقائها وعزتها، ومتى ما كان قادتها في اتم الاستعداد لدرء الاعداء بتجهيز كل ما يلزم لإعداد الجيوش التي تكون السد المنيع لحماية الامة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال: ٦٠، وفي هذا المجال قالت -عليها السلام-: (والجهاد عزاً للإسلام) لأن أعداء الإسلام يحاولون -باستمرار- النفوذ إلى داخل بلاد المسلمين، والسيطرة على مقدراتهم -بشكل أو بآخر- فالجهاد يكون وقاية أو علاجاً رفعاً أو دفعاً، كما يكون سبباً لتقدم بلاد الإسلام، ويكون سبباً لإرجاع المنحرف إلى الصراط المستقيم، إذ الجهاد ابتدائي ودفاعي واصلاحي،^(٤١) والجهاد عملية تحريرية: يتولاها المعسكر الإسلامي لتخليص الإنسانية من السيطرة الجاهلية بشئ أنواعها ومستوياتها، وهذه العملية التحريرية تجري في أعلى المستويات، حيث تعباً فيها قوى الإيمان المادية والفكرية والروحية لإنجاح هذه العملية، وغالبا ما يبرز فيها عنصر القوة العسكرية لإحراز النصر وتحقيق العملية التحريرية الكبرى، وإحراز النصر -هذا- ليس نصرا لمعسكر الإيمان -فحسب- بل هو في الحقيقة نصر لمن يعيش تحت السيطرة الجاهلية من أبناء النوع الإنساني،^(٤٢) وقولها (عزاً) فالعزة لا تحصل إلا بالقوة، وتظهر القوة باستعمال السلاح واستعراض الجيش، وإظهار المعدات الحربية، وتحلي البطولات وغير ذلك، وأحسن استعراض للقوة وإثبات الشخصية هو الجهاد

٣٩- المصدر نفسه: (٢/٢١٧)

٤٠- الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان: (ص ٤٩)

٤١- من فقه الزهراء: محمد مهدي الشيرازي: (٢/ ٢٣١)

٤٢- الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان: (ص ٥١)

في سبيل الله، فالقوة والقدرة والإمكانية والتضحية، ومدى تعلق المسلمين بالمبدأ، والمواهب التي تظهر في جبهات القتال، وتظهر النتيجة بالانتصار والظفر والغلبة على أعداء الدين.^(٤٣)

سادسا: الامر بالمعروف

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ركيزة مهمة لبناء المجتمعات الانسانية وان كانت غير مسلمة، فاذا تناها الناس عن المنكر حل الامن والامان وقطعت الايدي المسيئة ما ينعكس اثرا ايجابيا على المجتمع، ولم يفت هذا المعنى عن الزهراء (صلوات الله عليها) فقالت: (والامر بالمعروف مصلحة للعامة) لأن بالامر بالمعروف تستقيم أمور العامة وتحتدي إلى سبيل الرشاد، وبتركه تنحرف إلى ما يفسد دينهم ودنياهم، وقد فرض الله الأمر بالمعروف على كل مكلف في حدود القدرة والإمكانية بشروط معينة مذكورة في محلها، ويعد نوعاً من الجهاد، ومعنى ذلك أن كل فرد من أفراد المسلمين يعد نفسه مسؤولاً عن الدين مرتبطاً به، غير منفصل عنه، وهو تفسير عملي لقوله - ﷺ -: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) لأن الإسلام لا يؤمن باللامبالاة وبالانعزال عن المجتمع الديني، فالإسلام يعد المسلمين أسرة واحدة مترابطة، وأمة واحدة يربطها رباط الدين والعقيدة،^(٤٤) والامر بالمعروف هو ما يقوم به مصالح الناس ويرتكز عليه النظام؛ لان الاسلام نظام كامل للحياة،^(٤٥) ويمكننا القول ان الزهراء - ﷺ - وانطلاقاً من كونها ابنة النبي - ﷺ - فهي احرص الناس على الاسلام بعد ان افل نجم النبي - ﷺ -، فلم تر بد من الخروج من خدرها للأمر بالمعروف واصلاح المجتمع، عندما رات المجتمع ينزلق في متهاتات الجاهلية، التي افنى النبي - ﷺ - حياته في اخراج الناس منها، فخرجت بهيبة ووقار ناصحة لامة ابيها كما (روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه - ﷺ -: إنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذبولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله - ﷺ - حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فينيط دونهما ملاءة فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهذأت فورقهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها....)^(٤٦)، كما مارست الزهراء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما دارت مع الامام علي منازل الناس مذكرة لهم ما اخذ عليهم من عهود، فعن أبي جعفر محمد بن علي - ﷺ -، أن عليا حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت

٤٣ - ينظر: فاطمة من المهد الى اللحد: محمد كاظم القزويني: (ص ٢٠٤)

٤٤ - ينظر: اللمة البيضاء: التبريزي الانصاري: (ص ٥٦١) وفاطمة من المهد الى اللحد: محمد كاظم القزويني: (ص ٢٠٤)

٤٥ - شرح خطبة الزهراء: باقر الكيشوان: (ص ١٠٧)

٤٦ - بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: (٢٩/٢١٦)

رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي: أكنت أترك رسول الله ميتا في بيته لا أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه^(٤٧)، وبمكنا القول ان الزهراء -عليها السلام- أول من مارس المعارضة السياسية السلمية في المجتمع الاسلامي، فامرها بالمعروف ونهيها عن المنكر لم يخرج من السلمية، رغم ما للزهراء من منزلة عظيمة الا انها لم تدع على من اذاها، ففي الرواية (ثم دخلوا فأخرجوا عليا -عليها السلام- ملبا فخرجت فاطمة -عليها السلام- فقالت: يا أبا بكر أتريد أن ترملي من زوجي؟ والله لئن لم تكف عنه لأنشرن شعري، ولأشقن جبي، ولأتين قبر أبي، ولأصيحن إلى ربي، فأخذت بيد الحسن والحسين -عليهما السلام- وخرجت تريد قبر النبي -صلى الله عليه وآله- فقال علي -عليه السلام- لسلمان: أدرك ابنة محمد، فاني أرى جنبتي المدينة تكفثن، والله إن نشرت شعرها، وشقت جبيها، وأتت قبر أبيها، وصاحت إلى ربها، ولا يناظر بالمدينة أن يخسف بها [وبمن فيها] فأدركها سلمان -عليه السلام- فقال: يا بنت محمد إن الله إنما بعث أباك رحمة، فارجعي، فقالت: يا سلمان يريدون قتل علي ما علي صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي، فأنشر شعري، وأشق جبي، وأصيح إلى ربي، فقال سلمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة، وعلي بعثني إليك يأمرك أن ترجعي له إلى بيتك، وتنصري، فقالت إذا أرجع وأصبر وأسمع له وأطيع^(٤٨)، ولما انصرفت من عند أبي بكر بعد ان خطبت خطبتها، أقبلت -عليها السلام- على أمير المؤمنين -عليه السلام- فقالت له: يا بن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجلد فخانك ريش الأعزل هذا ابن أبي قحافة قد ابتزني نحلة أبي وبلغه ابني، والله لقد اجهد في ظلامي، وألد في خصامي، حتى منعتني القيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع خرجت، والله كاظمة وعدت راغمة، ولا خيار لي ليتني مت قبل ذلتي وتوفيت دون منيتي، عذيري والله فيك حاميا ومنك داعيا ويلاي في كل شارق، مات العمد ووهن العضد، شكواي إلى ربي وعدواي إلى أبي، اللهم أنت أشد قوة، فأجباها أمير المؤمنين لا ويل لك بل الويل لشانك، تخنهي عن وجدك يا بنت الصفوة، وبقية النبوة، فو الله ما ونيت في ديني، ولا أخطأت مقدوري، فان كنت تريدن البلغة فزرك مضمون، وكفيلك مأمون وما أعد لك خير مما قطع عنك فاحتسبي، فقالت: حسبي الله ونعم الوكيل^(٤٩)، وفي الروايتين نجد الزهراء -عليها السلام- تقدم مصلحة الامة الاسلامية على مصلحتها الخاصة.

وقبل ان تذكر الزهراء -عليها السلام- اثر العبادات على الفرد والمجتمع ذكرت الناس بمبدأ الثواب والعقاب، فقالت -عليها السلام- (ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ،

٤٧- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: (١٣/٦)

٤٨- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي: (٦٧/٢)

٤٩- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر اشوب: (٥١/٢)

وَحَيَاشَةٌ مِنْهُ إِلَى جَنَّتِهِ. (ان الإنسان لا يندفع نحو العمل إلا بدافعين: دافع الرغبة وهو الطمع لجلب الخير، ودافع الرهبة وهو الخوف من المكروه، فالتاجر يتجر طلباً للمنافع وخوفاً من الفقر، والطالب يتعلم ويدرس طلباً للثقافة أو التوظيف، وهرباً من الجهل الذي يحول بينه وبين الصعود إلى مدارج الكمال، والإنسان لا ينقاد ولا يطمع إلا طمعاً في الأجر والثواب، وخوفاً من العذاب والعقاب وانطلاقاً من هذه الحكمة جعل الله الثواب وهو الأجر مع التقدير والاحترام جزاء الطاعة والانقياد، ووضع العقاب على معصيته) أي جعل قانون العقوبة للعاصين، المخالفين لأوامره المتجاوزين لأحكامه، لماذا؟ (زيادةً لعباده من نعمته) وضع الله تعالى قانون العقوبة لأجل ردع العباد ومنعهم عن ارتكاب الأعمال التي توجب نعمته أي عقوبته (وحياشةً لهم إلى جنته) أي جعل الثواب والعقاب لمنع العباد عن المعاصي، وسوقهم إلى طريق الجنة، أي الأعمال التي يستحق الإنسان بها الجنة. (٥٠)

المطلب الرابع: المقومات الاخلاقية:

أولاً: الصبر

حث القرآن الكريم على الصبر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاضُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠، لما له من اثار ايجابية على الفرد والمجتمع، وخير من ضرب اروع صور الصبر الانبياء -عليهم السلام-، كالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- والبيته الاطهار، ومنهم الزهراء التي قالت عن الصبر في خطبتها (والصبر معونة على استيجاب الاجر..). تكشف لنا الزهراء -عليها السلام- حقيقة كبرى تتجسد على يديها كل الآمال، وكل الأهداف التي رسمتها الرسالة الإسلامية لهذا الإنسان تلك الحقيقة هي: الإرادة والإقدام على تحقيق متطلبات الشرع، فبغير الإرادة والصبر في العمل لا يمكن لإنسان أن يحقق مطالب الرسالة الإسلامية، إذن فالصبر -في منطق الرسالة-: الجسر المعقود بين الواقع النظري للشرعية والواقع العملي لها، حيث تتجسد الأفكار على يديه واقعاً محسوساً يبرز في فكر الفرد وسلوكه وكافة ألوان نشاطه، وقد يصبح الأمر من القضايا البديهية المسلم بها إذا قلنا: أنّ الصبر المرادف للإقدام ومواصلة العمل والإستمرار في بذل الجهد من أجل تطبيق معالم الشريعة الإسلامية قد جعله الإسلام على لسان دستوره الخالد ركناً أساسياً من أركان المجتمع الذي يقف تحت راية التوحيد المقدسة والصبر -في منطق الحضارة الإسلامية- يلتزم جانبين في حياة المجتمع المسلم والفرد المسلم، فهو صبر على الطاعة، وصبر على المعصية، ولما كان الإسلام أساساً لا ينهض إلا على هذين المفهومين الكبيرين في تحديد معالم تشريعه، إذن فقد أصبح للصبر -بشطريه الإيجابي والسلبي من واقع الشريعة الإسلامية- عظيم الأثر في تحقيق أهداف الرسالة كعامل مساعد أو كعنصر يدخل

في إطار كلِّ الفعاليات التي ينهض الفرد أو المجتمع المسلم بأعبائها، وحين يملك الصَّبر هذا المقام الرفيع في التشريع الإسلامي، فقد أصبحنا أكثر إحاطة بالغاية التي دفعت الزهراء -عليها السلام- لتعطي هذا المفهوم: هذا الجانب الكبير من الإهتمام، حيث ضربت على الوتر الحساس من المسألة بإعلانها: أنَّ الصَّبر معونة على استيجاب الأجر، أجل فهو عنصر مساعد فعَّال يجعل المرء المسلم أكثر قدرة على كسب الأجر والرضوان^(٥١).

ثانياً: بر الوالدين

الاسرة في الاسلام اهم لبنة اهتم في صقلها وتنشئتها إيمانياً، وقد أكد الاسلام على دور الوالدين في بناء هذه الاسرة وضمن لهم في المقابل المكانة المرموقة لدى الابناء ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٥٢) الإسراء: ٢٣، وقد قرن سبحانه رضاه برضى الوالدين، وهذا ما اشارت اليه -عليها السلام- (وبر الوالدين وقاية من السخط)، هذا ويحتمل أن يكون المراد من (السخط) هو السخط التكويني لأن عدم بر الوالدين يؤدي إلى انفصام المجتمع وتشققه وتفككه وكرامية بعضه لبعض، إذ الأبناء اذا لم يبروا آباءهم لم يبرهم ابناءهم، بل كان ذلك مقتضياً لعدم تعاون إخوانهم وسائر أقاربهم معهم، وإذا انفصمت العائلة انفصم الاجتماع وتفكك، وهو من أكبر أقسام السخط، ويؤيد الثاني: إن أغلب العلل عقلية، ثم ان تأثير صلة الرحم في طول العمر وزيادة العدد، يمكن أن يكون بالأسباب الغيبية، ويمكن أن يكون بالأسباب الظاهرية، فإن من يصل رحمه يكون مرتاح الوجدان، مطمئن الضمير، واطمئنان الضمير وسكون النفس يوجب طول العمر، لتأثير كل من الروح والبدن في الآخر، إضافة إلى أن صلة الرحم يوجب الحيلولة دون كثير من النزاعات -التي تتولد وتزيد من قطع الرحم واستمراره- ومن الواضح تأثير النزاعات على تحطيم الأعصاب وتدمير الصحة،^(٥٣)

فالإسلام يقيم المجتمع المتكامل المؤمن، ويربي الفرد باراً محسناً لوالديه، والفا لإخوانه، وحنوناً عطوفاً على الصغار والقاصرين، ويظهر اهتمام الاسلام من خلال القران اذ جعل شكر رعاية الوالدين وشكرهما من شكر الله^(٥٤)، وقد قدمت الزهراء -عليها السلام- اروع مثال للمجتمع الاسلامي والانساني في بر الوالدين، فعن محمد بن علي المدني قال: (وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم تكنى أم أبيها لما لها من رعاية واهتمام بالنبي)^(٥٤).

٥١- الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان: (ص ٥٢)

٥٢- من فقه الزهراء: محمد مهدي الشيرازي: (٢٤٥/١)

٥٣- شرح خطبة الزهراء: محمد باقر الكيشوان: (ص ١٠٧)

٥٤- المعجم الكبير: سليمان بن احمد الطبراني: (٢٢ / ٣٩٧)

ثالثاً: توفية الميزان

جشع التجار والتلاعب بالكيل والميزان من مظاهر تششت المجتمع، حيث يسود الكره بين طبقاته، وينذر بنزول العذاب من الله كما انزله على قوم شعيب عليه السلام، ولم تغفل الزهراء هذه الركيزة المهمة في معرض كلامها عن مقومات المجتمع الاسلامي (وتوفية المكايل والموازين تغييراً للبخس)، أي لثلا ينقص مال من ينقص المكيال والميزان إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال؛ أو لثلا ينقصوا أموال الناس، فيكون المقصود أن هذا أمر يحكم العقل بقبحه، ^(٥٥) وقولها - ع: (وتوفية) فإن الكيل والوزن إذا أعطيا بالحق لا يكون هناك بخس في الأموال ونقص في الثروات، لأن المجتمع إذا جرى على عدم التوفية تحول الناس إلى لصوص، إذ النقص في المكيال والميزان نوع من السرقة، واللصوصية توجب بخس ثروات الأمة حيث يتحول المجتمع عندئذ من مجتمع منتج متنافس تنافساً إيجابياً إقتصادياً، إلى مجتمع متحايل يحاول أن يخدع بعضهم بعضاً، وحينئذ تنعدم الثقة وتتدنى نسبة التعاون إلى أدنى الدرجات، والمجتمع غير المتعاون لا يتقدم، ولا تنمو ثرواته، بل تتناقص وتتضائل. ^(٥٦)

رابعاً: اجتناب قذف المحصنات

الإسلام هو الدين الذي يحافظ على كرامة الناس، ويعد الإسلام المس بالكرامة نوعاً من أنواع الجريمة، وقد جعل لهذه الجريمة عقوبة دنيوية، وعذاباً في الآخرة، والقذف هو: الرمي بالزنا أو اللواط، مثل أن يقول لغيره زنت أو أنت زان، أو ليط بك... أو ما يؤدي هذا المعنى ^(٥٧)، إن إسناد الفجور إلى أهل العفة والشرف من رجال أو نساء ليس بالشيء الهين ولا يسمح الإسلام أن يطلق الإنسان لسانه لهدر كرامة الناس، وهتك أعراضهم ونواميسهم، وإذا نسب الإنسان نوعاً من أنواع الفجور إلى ما ليس معروفاً بالفجور، فلا بد من إثبات ذلك بإقامة البينة والشهود، فإن عجز عن ذلك فسوف ينفذ في حقه قانون العقوبات، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤﴾ ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩) ^(١٠١٠) ^(١٠١١) ^(١٠١٢) ^(١٠١٣) ^(١٠١٤) ^(١٠١٥) ^(١٠١٦) ^(١٠١٧) ^(١٠١٨) ^(١٠١٩) ^(١٠٢٠) ^(١٠٢١) ^(١٠٢٢) ^(١٠٢٣) ^(١٠٢٤) <

يمكن أن تخلو من نفرٍ لم يبلغوا درجة الإستقامة بعد، وقد يبدو داء الإعوجاج في فكرهم أو في سلوكهم أو في عواطفهم فيصبحوا على هذا الأساس عضواً مغايراً في طابعه للطابع الاصيل في المجتمع، وقد ينعكس هذا الإعوجاج في كثير من ألوان نشاطهم في المجتمع وبأنماطٍ مختلفة وفي مجالات متباينة والمجتمع الإسلامي - وإن كان هو المجتمع الوحيد الذي يقف تحت راية خالق الوجود سبحانه - إلا أنه ليس بدعاً من الأمر لأنه لا يخلو من نفرٍ لم تنضج العقيدة في نفوسهم بعد، ولم تصقل عقليّاتهم ونفسيّاتهم بالمفاهيم الإسلامية المقدّسة فيندفعوا بعد ذلك ليزاولوا نشاطاً مخالفاً لما يرسمه الإسلام الحنيف من تعليماتٍ وأحكام، ومن هذه النشاطات التي شدّد الإسلام على محاربتها قذف المحصنات والسّرقة، لأنّ هذين التّشاطين - كليهما - اعتداءً على الآخرين، فالأول اعتداء على عرض، والآخر اعتداءً على الملكية - خاصّة كانت أم عامّة، وقذف المحصنات هو تهمة يثيرها نفر من المعرضين حول بعض المسلمات المحصنات إحداثاً للبلبلّة وإيقاعاً للفتنة، وقد منع الإسلام هذه المفسدة وشدّد على مرتكبيها وجعل اللعنة نصيبهم^(٥٩)، وعلى هذا الأساس، فإنّ التخلّص من غضب الله ولعنته يتحقق باجتنب القذف، وهذه الحقيقة قد أشارت لها الزّهاء - عليه السلام - في هذا المقطع القصير من خطبتها.

خامساً: اجتناب شرب الخمر

اهتم الاسلام كنظام كامل للحياة اهتماماً كبيراً بصحة الفرد والاسرة، والمجتمع جسدياً وعقلياً، لهذا تراه يشدّد العقاب على كل من يؤذي المجتمع، ويشتت ابناءه، ومن اشد المحرمات ضرراً واضراراً هو شرب الخمر، الذي يؤذي الجسم ويصل ضرره الى النطفة التي يتكون منها الانسان،^(٦٠) لذا قالت - عليه السلام -: (والنهي عن شرب الخمر) حيث أن شرب الخمر كان شائعاً في الجاهلية، قد حرّمه الإسلام، وكانت بعض النفوس تحن إليه عوداً على ما كانوا عليه، ولذا خصصته الزّهاء - عليه السلام - بالذكر وإلا فهو كسائر محرمات الأكل والشرب كالميتة ولحم الخنزير والدم وما أشبهه، نعم إن الخمر رأس كل شر، فقد قال الإمام الصادق - عليه السلام -: (إن الخمر أم الخبائث ورأس كل شر، يأتي على شارها ساعة يسلب لبه فلا يعرف ربه، ولا يترك معصية إلا ركبها، ولا يترك حرمة إلا انتهكها، ولا رحماً ماسة إلا قطعها ولا فاحشة إلا أتاها)، وقال - عليه السلام -: (وإن من شرب منها جرعة لعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون، وإن شربها حتى يسكر منها نزع روح الإيمان من جسده، وركبت فيه روح سخيصة خبيثة ملعونة) وقولها - عليه السلام - (تنزيها عن الرّجس) يشير الى الجوانب الكبيرة من مضار الخمر من الناحية الصحية والعقلية والاجتماعية وغير ذلك.^(٦١)

٥٩- الزّهاء فاطمة بنت محمد: عبد الزّهاء عثمان محمد: (ص ٥٦)

٦٠- شرح خطبة الزّهاء: باقر الكيشوان: (ص ١١١)

٦١- من فقه الزّهاء: محمد مهدي الشيرازي: (٢/ ٢٥٩) وفاطمة من المهد الى اللحد: محمد كاظم القزويني: (ص ٢٠٨)

المطلب الخامس: اثر الفتنة على المجتمع الاسلامي

حذرت السيدة الزهراء من عاقبة الفتنة التي وقع الناس بها عندما تركوا امر الله سبحانه في الابتعاد عن تنصيب الامام علي خليفة للنبي - ﷺ -، والتي سيكون لها انعكاسا سيئا في مستقبل المجتمع، وحذرتهم من عقوبة النار فقالت (موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة) وان كل ما فعلوه يجدونه عند الله (فبعين الله ما تفعلون) وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿﴾، فترك نصرة الحق يعني سقوط المجتمع الاسلامي في نفق عميق من الفتن، التي تراق فيها الدماء، فقالت (اما لعمري لقد لقحت فنظرة ريشما تنتج ثم احتلبوا ملء العقب دما عبيطا وذعافا واطمئنوا للفتنة جاشا وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وبهرج دائم شامل واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة لكم واني بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون)، ثم أن السيدة الزهراء أوضحت لهم أن اثر الفتنة لا يكون مقتصرًا على عقاب الله في الآخرة، لا بل أن أثره سيبقى في الحياة الدنيا؛ لأنهم سَنُوا السنة السيئة التي سيتحملون وزرها ووزر من يعمل بها، وقد أوضحت السيدة الزهراء - ﷺ - اثر تلك الفتنة في المجتمع في خطبتها الثانية، (أما لعمري لقد لُحِثَتْ فَنظَرَةٌ رِيْشَمَا تُنْتِجُ، ثُمَّ احْتَلَبُوا مَلَأَ الْقَعْبَ دَمًا عَبِيْطًا وَذَعَا فُؤَيْدًا، هُنَالِكَ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ) فتقسم الزهراء - ﷺ - لهذه المظلومية التي جرت، والمصيبة التي حدثت والفتنة التي توسعت، أنها كانت داخل نفوسكم، وفي مجتمعكم وستكبر عما قليل، فمهلة صغيرة مقدار ما تلد وتتكاثر وتنتج الأفكار التي قبلتم بها وسترون، كيف كانت الأحكام تصدر؟ وكيف كنتم مطيعين؟ وتلك المظلومية والفتن ستولد دماء كثيرة، وسمومًا تنبئ الإسلام وأهله، وتأتي بإسلام جديد (بالاسم فقط) لما قبلتموه من تغيير، وتجاوز على مقام آل البيت (٦٢) وكلام الزهراء فيه انذار مُحْيِف، وقعه كوقع صاعقة عاد وشمود، وتشاؤم من مستقبل مُظْلَم بتداعياته ومبتدعاته، أنها نبوءة من لدن نبي مُرسل عن وحي مُنزل، فقد كان النبي - ﷺ - يخصها به من أسرار الكائنات المستقبلية (٦٣)، ومن تلك التنبؤات قولها (دمًا عبيطًا وذعافًا مبيدًا) فقد وقعت الحروب الطاحنة التي سالت منها أودية الدم كحرب الجمل وصفين والنهوان وواقعة الحرة وغيرها من الحروب الطاحنة على مر التاريخ الإسلامي، فضلاً عن انتشار السموم التي سيحلبونها، والأفكار الملوثة التي سينشرونها، والعقائد الغريبة التي سيروجونها، وظهور الفرق التي تدعي الإسلام، وهناك سيكون الخسران والبطالان (٦٤).

ثم قالت - ﷺ - ((ويعرف التالون غُيب ما أسسه الأولون، ثم طيخوا عن دنياكم أنفساً، واطمئنوا للفتنة جاشاً، وأبشروا بسيف صارم، وسطوه معتدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم، واني لكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون) فسيعرف التالون

٦٢ - ينظر: وألقت الزهراء خطبتها: كاظم القزاز: (ص ٢١٧).

٦٣ - نهاية التحقيق فيما جرى من أمر فدك: محمد مهدي الخرسان: (ص ١٣٦).

٦٤ - ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد: كاظم القزويني: (ص ٣٨٣)، وألقت الزهراء خطبتها: كاظم القزاز: (ص ٢١٧).

العاقبة لما أسسه الأولون من قاعدة غير رصينة ومنحرفة وزائفة عن خط الإسلام الواضح الصحيح، سيحمل جمل الخلافة بعد انحراف مسيره سريعاً، و سيعانق الأرض منه مولودٌ عجيب الخلقة، عوض من أن تشربوا حليبه السائغ الهنيء، سَتَنَاولُونَ كَوْساً مليئاً بدم جديد، يملأ قدام قلوبكم! و سَيُصَبُّ فِي فِيكُمْ السُّمُ المميت بدل اللبن الخالص، وبالتدريج سيأتي دور ظلام التأريخ والطغاة والجلادين وَمَنْ هُوَ أَسْوَأُ مِنْهُمْ، الذين سَيُسَلِّطُونَ سيوفهم على رقابكم و رقاب أبنائكم، و سيحصدون ثمار حياتكم بمنجلهم المميت، سوف لن يكتفوا بسرقة أموالكم و سبي نسائكم، و إِنَّمَا سَيُقِيمُونَ فِيكُمْ قتلاً جماعياً متكرراً، تَلَوْنَ فِي أَثَرِهِ الْأَرْضُ بِلَوْنِ دِمَائِكُمْ، بما في ذلك أرض مسجد النبي الكريم - ﷺ -، نعم فسيعملون فيكم و في أبنائكم القتل في داخل المسجد الشريف ثاني الحرمين الأمنين حتى يطفح صحن المسجد بالدم، بل و سيهتكون حرمة بيت الله الحرام بقصفه بالحجارة بواسطة المنجنيق، وسيتلقفوكم بسيوفهم في داخله و خارجه، لقد حلق بكم الخيال بعيداً، فظننتم أَنَّ أَعْدَارَكُمْ الواهية في تخليكم عن نصره الحق و الدفاع عن خليفة الرسول - ﷺ - سيجيكم من الجزء الإلهي بسهولة، وستفرون عندها من عواقب أعمالكم السيئة، هيهات، فذلك تصوّرٌ باطل! هيهات، فذلك خيالٌ محال! وتكون اللعنة على أعمالكم من الذين سيأتون بعدكم، ثم اطلبوا الاستقرار والهدوء لأنفسكم في هذه الدنيا، فكيف ستهدأ بما عملتم وأسأتم وضيعتم من حق؟ واطمنئنا وهدئنا للفننة قلوبكم، وهذا يراد به العكس، فإن القلب لا يسكن للفننة وانما يسكن للأمان والسلامة^(٦٥)، وتلك الأمور ستوصلكم للقتال بالسيوف الصارمة لكثرة من يتنازع عن الملك، فستطير رؤوسكم ورؤوس غيركم، بأيدي أنتم جلبتموها وأعزتموها، وسطوة وبطش أثيم غاشم، ثم ابشروا بفوضى وهرج ومرج كامل ودائم، واستبداد من الذين أقروا عليكم لتفردهم بآرائهم،^(٦٦) وهي صادقة في كونها آراء غير صحيحة، لا توافق الدين والمنهج المتين، ثم سيجعلون نصيبكم من الخراج والغنيمة بخساً؛ لانهم سيسيطرون عليها، ويأخذونها عنوة منكم ويجرمونكم من خيرها الكثير، ثم أن زرعكم وحصدكم يعود لهم، ولا تحصلون منه إلا على القليل، فلا خيركم لكم ولا أمركم بيدكم، فهذا حكم من سلطتموه عليكم وجعلتموه أميركم وعدلتم عن صاحبها، وتلك كلها إخبارات بالمستقبل المظلم، الذي كان سيحل بالمسلمين، والمآسي والكوارث التي تنزل بهم، والولايات التي تنصب عليهم،^(٦٧) واخيراً يمكننا القول ان الزهراء - عليها السلام - خرجت من خدرها من اجل هذه الامة، خرجت ناصحة ومذكرة ومحدرة من مغبة الابتعاد عن الاختيار الالهي، والوبال الذي سيحل بهم جراء ذلك، وان الاسلام سيكون عنواناً لهذا المجتمع الميت فقط، حيث سيظهر التشئت والتحزب والفرقة في الدين، ونحن اليوم

٦٥- الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي: (ص ١٢)

٦٦- والقت الزهراء خطبتها: كاظم القزاق: (ص ٢١٧)

٦٧- ينظر: فاطمة من المهدي إلى اللحد: كاظم القزويني: (ص ٣٨٦)، وألقت الزهراء خطبتها: كاظم القزاق: (ص ٢١٨).

نلاحظ سيطرة اعداء الاسلام على ارض المسلمين، ارضا وفكرا وعقيدة، وظهور امساخ تدعي الاسلام، تقتل وتنتهك الاعراض.

الخاتمة

من خلال مسيرتنا في البحث يمكننا ان نصل الى جملة من النتائج:

١- الاسلام قادر على قيادة الامة، وتشريعاته التي جاء بها تواكب كل زمان ومكان، وما حدث في المجتمع من ضياع هو نتيجة اخطاء ابنائه، الذين لم يلتزموا بالتشريعات الالهية، ونصبوا لا انفسهم ما ارادوا من قيادات.

٢- لا بد للمجتمع الاسلامي من قيادات كفوءة، توصله الى بر الامان، وهذا ما ارادت الزهراء -عليها السلام- ان تفهمه للناس.

٣- لا يعارض الاسلام ممارسة المرأة للأعمال، طالما حافظت على حشمتها، وقد مارست الزهراء -عليها السلام- العمل السياسي بخروجها للناس وتقديم النصح لهم، بعدما كبلت وصية النبي الامام علي -عليه السلام- من التصدي للموقف، فخرجت مدافعة عن الامامة.

٤- ضمن الاسلام للناس دستوراً مقدساً يضمن سعادة الانسان في الدنيا والاخرة، ويقدم الحلول لكل مشاكل البشرية.

٥- لكل عمل عبادي اثر في الفرد والامة، ولا بد من ان يظهر هذا الاثر جلياً في المجتمع، والا فان العمل لم يؤد دوره.

٦- مسؤولية صلاح واصلاح المجتمع تقع عاتق على كل فرد من افراده، والزهراء -عليها السلام- سعت لإصلاح الانحراف الذي عصف بالامة بعد ان كُبلت يد امير المؤمنين -عليه السلام-.

٧- ما حدث اليوم في المجتمعات الاسلامية من فرقة وتشتت، وصراعات دامية، ومن ظهور الفرق العديدة، التي انحرف بعضها عقائدياً، فصرح بالتجسيم لله، وقال بالجبر، وتكفير المسلم، وغيرها من العقائد الفاسدة، ما هو الا نتيجة الانحراف عما اراده الله سبحانه، والذي حذرهم منه الزهراء -عليها السلام-، فلم تجد من يسمع لها، فأخبرتهم بحال الامة في المستقبل.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. اخلاق ال البيت: محمد مهدي الصدر، مؤسسة الكتاب الاسلامي، د ط.

٢. ادب فاطمة الزهراء: الدكتور محمود البستاني. د ط.

٣. الاسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي، دار الارشاد، بيروت- لبنان، ط (١)، ١٤٢٥-٢٠٠٥.
٤. بحار الانوار: العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاق، بيروت- لبنان، ط (٢)، ١٤٠٣.
٥. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاقي، المكتبة العلمية الإسلامية، ايران- طهران، د ط.
٦. الدرّة البيضاء في شرح خطبة الزهراء - (عليها السلام) - العلامة السيّد هادي الحسيني الصائغ، تحقيق محمد جواد نورالدين فخرالدين، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، د ط.
٧. دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، مصر- القاهرة، ط (٢)، د- ت.
٨. الزهراء القدوة: السيد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت- لبنان، د ط، ١٤٢٢- ٢٠٠١.
٩. الزهراء سيدة نساء العالمين: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، تعريب: عبد الرحيم الحمراي، مكتبة الرسول الأعظم وأهل البيت، د ط.
١٠. الزهراء فاطمة بنت محمد: عبد الزهراء عثمان محمد، مؤسسة السبطين [/http://www.sibtayn.com](http://www.sibtayn.com)
١١. شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، د ط.
١٢. علل الشرائع: محمد بن علي الصدوق، دار المتقين، د ط.
١٣. شرح خطبة الزهراء واسبابها، نزيه القميحا، بيروت- لبنان، ط (٢)، ١٤١٥- ١٩٩٥.
١٤. شرح خطبة الزهراء - (عليها السلام) - : مؤسسة السبطين العالمية [/http://www.sibtayn.com](http://www.sibtayn.com)
١٥. فاطمة من المهدي الى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة المراقدة المقدسة، بيروت- لبنان، ط (١)، ١٤٣٣- ٢٠١٢.
١٦. في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، مطبعة ستار، قم - ايران، ط (١)، ١٤٢٧.
١٧. الكبائر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: حسان عبد المنان، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط (١)، ١٤١٦- ١٩٩٥.
١٨. اللمعة البيضاء: محمد بن علي الأنصاري التبريزي، تحقيق: هاشم الميلاني، مؤسسة الهادي، قم- ايران، ط (١)، ١٤١٨.
١٩. مجلة تراثنا: مؤسسة آل البيت - (عليهم السلام) - لإحياء التراث، مطبعة ستارة، ايران - قم، ١٤٢١.

٢٠. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط (٢)، ١٤٠٤ - ١٩٨٣.
٢١. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط (١)، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٢٢. من فقه الزهراء: السيد محمد مهدي الشيرازي، دار العلوم، بيروت - لبنان، ط (١)، ١٤٢٩ - ٢٠٠٨.
٢٣. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف الحيدرية - النجف الأشرف، د ط.
٢٤. مناقب أهل البيت - عليه السلام -: المولى حيدر الشيرازي، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مطبعة المنشورات الإسلامية، د ط، ١٤١٤.
٢٥. مباني تكملة المنهاج: السيد علي أكبر هاشم الخوئي، المطبعة العلمية، ايران - قم المقدسة، ١٣٩٦ ش.
٢٦. نهاية التحقيق فيما جرى من أمر فدك: محمد مهدي حسن الخرسان، مكتبة العلامة المجلسي، قم - ايران، ط (١) ١٤٣٢.
٢٧. والقت الزهراء خطبتها: كاظم الموسوي القزاز، دار الاميرة، بيروت - لبنان ط (١) ١٤٣١ - ٢٠١٠.